كل عام وانتم بخير

من هيئة التحرير ومن أصدقائنا

* شركة عامل سلفانا * شركة المشرق للتأمين * البنك التجاري الفلسطيني
* المؤسسة العربية للتأمين * السفير للدعاية * شركة المصري - سكودا
* الشرق لتأجير السيارات * "ستار" للكمبيوتر

20 -05- 1994

البنك التجاري الفلسطيني

البنك التجاري الفلسطيني المحدود
The Commercial Bank of Palestine Ltd.

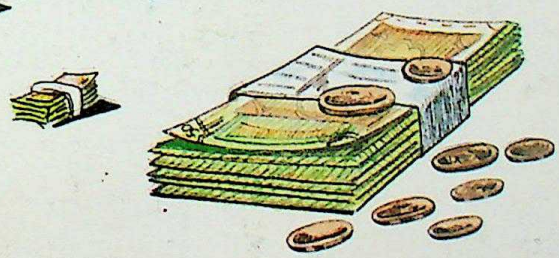

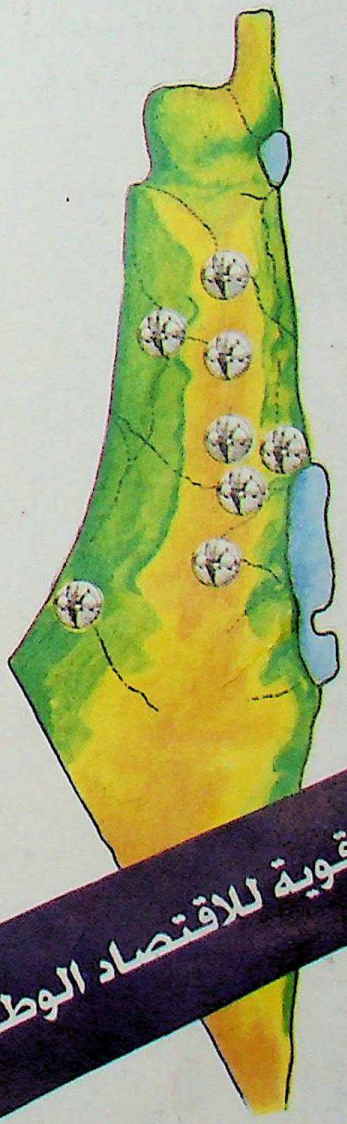

لنحقق معا ...
معجزة اقتصادية فلسطينية ...

أكثر من ثمانية فروع ومكاتب يتوقع فتحها في العام الأول

دعامة قوية للاقتصاد الوطني

المقر المؤقت - رام الله - عمارة الشركة الوطنية العقارية - الشارع الرئيسي

تلفون وفاكس ٩٥٦١٤٦ ص.ب ١٧٩٩

شركة بوس

الكاتب

شهرية الثقافة والفنون والاداب

رئيس التحرير المسؤول
أسعد الاسعد

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

أول الكلام

بهذا العدد، نكون بدأنا رحلتنا لنكمل خمسة عشر عاماً من عمر الكاتب، في زمن يتحول الوطن فيه إلى شعار خال من المضامين الوطنية التي عشنا العمر نناضل من أجل تحقيقها وبنائها، وتنهار معايير كنا ولا نزال نؤمن ايماناً راسخاً بحتمية انتصارها.

أمام هذا الانهيار، لا نملك غير الامساك على الجمر، فهو حلمنا الباقي إلى الأبد، برغم ما يعترضه من نكسات، سوف نظل رافعي راية الثقافة الوطنية، ونواصل حلمنا، الذي لا ينتهي.

الكاتب

هذا العدد

- الاتفاق بحاجة إلى اتفاقات أخرى. أسعد الاسعد ٢
- ماذا سيحصل لواقعنا التعليمي؟ هل سيصبح المعلم وحيداً... يواجه تحديات الجغرافيا الجديدة. محمد جابر... ٤
- حالة الفساد السائدة تولد أكثر من عدنان ياسين. منير سلام ٧
- قائمة بأسماء شهداء جدد ١٠
- تنمية الموارد البشرية وتفعيلها. د. أمين حاج يحيى ١٢
- البعد العلمي للتنمية. صافي صافي ١٨
- وجهة نظر نقدية في بعض مسائل الاقتصاد السياسي عند د. عادل سمارة. د. ماجد صبيح ٢١
- التربية الجنسية. د. يوسف أبو سمرة ٣١
- صلاح الدين الايوبي كما يروي سيرته مؤرخو عصره. أحمد شلبي ٣٣
- من دراسة في أدب الاطفال في الأرض المحتلة(٥). فايز منصور ٣٨
- شعراء المتوسط يلتقون في مدينة كافالا ٤٥
- الفن في تصويره للتاريخ والمجتمع. فاطمة المحب ٤٦
- قصص قصيرة: استغفر الله إلا من محبتكم. أحمد الشهاوي ٤٩
- شعر: من سيقطع رأس البحر. عثمان حسين. خمس أغنيات للخريف السادس. خالد جمعة ٥١
- استراحة العدد ٥٥

سكرتير التحرير
قاسم منصور

المدير الاداري
عدنان الكاشف

العدد (١٥٤) كانون ثاني ١٩٩٤ - السنة الخامسة عشر
AL-KATEB No. (154) January 1994

الاشتراك السنوي بالدولار

	للافراد	للموءسسات
في البلاد	٢٥ دولار	٥٠ دولار
في الخارج	٥٠ دولار	١٥٠ دولار

المراسلات
القدس، تلفون ٨٥٩٦٧٨ ص.ب ٢٠٤٨٩
Jerusalem, Tel: 859678 P.O.Box: 20489

الثمن ٥ شواقل

الاتفاق بحاجة الى اتفاقات اخرى!

احمد الاسعد

بعد انقضاء مهلة الثلاثة أشهر للبدء في تنفيذ اتفاق غزة إريحا أولاً، دون أن يتحقق شيء على الأرض، بدأ أطراف الاتفاق. وخصوصاً الحكومة الاسرائيلية ومنظمة التحرير الفلسطينية، في حالة من الفوضى، تهدد بنسف الاتفاق من أساسه.

ولعل أهم ما يميز الوضع القائم الآن، أن الاتفاق لم يكن ناضجاً وناجزاً، بل إن الغموض الذي يكتنفه الأن، مرده إلى الاستعجال في التوقيع عليه، بحيث راح الجانبان يفسران بنوده بما يرضي كل طرف، مما أدى إلى الوقوع في حالة الارباك القائمة.

وإن كانت حكومة اسرائيل، تتمسك بارضاء جمهورها الذي صوت لها، فهي محكومة إلى البرنامج الذي طرحته، وعلى أساسه تحقق فوزها في الانتخابات، وهي بالتالي لا تستطيع الكذب على جمهورها.

القيادة الفلسطينية، يجب أن تكون هي الأخرى محكومة لخطوط حمراء، لا تملك حق تجاوزها، وهي تدرك تماماً، أن قوتها، ومصداقيتها، رهن بتمسكها بالخطوط الحمراء. مهما بلغ حجم الضغوطات، والابتزاز الذي يمارس ضدها لتقديم التنازلات. فالشارع الفلسطيني، الذي خرج عشية التوقيع على اتفاق غزة - إريحا اولاً، إلى الشوارع. مؤيداً، فعل ذلك انطلاقاً من فهمه للاتفاق، كما شرحته وقدمته القيادة الفلسطينية، ولعل الذين لم يعارضوا الاتفاق - رغم كل التحفظات - وأنا واحد منهم، لم يعارضوه انطلاقاً من كون غزة وأريحا أولاً، تشكل مدخلاً واضحاً للبدء في انحسار الاحتلال، وبدء العد التنازلي لاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، على الأراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧، بما فيها القدس العربية، عاصمة الدولة الفلسطينية العتيدة، بمعنى آخر، ان هذا الوضع هو آخراً، طالما كان هناك أولاً، وتبقى الأمور الأخرى، الاتفاق[1] على مراحل الوصول إلى آخراً - تعديل الحدود باتفاق الطرفين، ترتيب العلاقات المختلفة بين الجانبين الوضع الأمني، المستوطنات ... المعابر، نقل السلطة للفلسطينيين ..الخ.

وفي اعتقادي، أن المعارضين رأوا في الاتفاق "أولاً وأخيراً"، والذين أيدوه أو لم يعارضوه، رأوا فيه بصيص أمل، يمكن أن يبنى عليه، طالما يعتمد الاتفاق على قراري ٢٤٢، ٣٣٨.

في هذه الأثناء، ومن خلال لقاءات الطرفين الاسرائيلي والفلسطيني، في أماكن عدة، للبحث في تنفيذ الاتفاق، تبين أن الاتفاق يحتاج إلى اتفاقات أخرى، حتى يمكن اعتماده أساساً صالحاً أو قابلاً للتنفيذ.

فالاسرائيليون، يرون في الاتفاق، ما لا يمكن لأحد من الفلسطينيين أن يوافق عليه، وأول ذلك، اعتبار نهر الأردن، حدود دولة اسرائيل وكذلك رفح، بحيث تصبح غزة وأريحا وأي منطقة أخرى، مجرد كنتونات لا يوحدها حدود، وتحيط بها أسلاك وطرق تسير عليها دوريات اسرائيلية، وترابط على نقاط العبور منها واليها قوات اسرائيلية، وليس لأحد أن يقترب إلا باذن منها، أما المستوطنات، فهي باقية، بل إنها تكبر وتمتد يوماً بعد يوم، والقدس مؤجل أمرها إلى "آخراً"، وإن كان الحديث عن أولاً يدور على هذا النحو، فلا أظن أن أخراً سوف يأتي بجديد. وأظن أن أحداً في الأراضي المحتلة، لم يلحظ تغييراً يذكر منذ الثالث عشر من أيلول الماضي، بل إن الوضع يكاد يكون أسوأ مما كان عليه، عدا سماح السلطات الاسرائيلية، برفع العلم الفلسطيني في غزة وإريحا، وأذنت للأحزاب التي أيدت الاتفاق، - فتح، حزب الشعب، وفدا، بفتح مكاتب لها في هاتين المنطقتين، أما العلم، فقد كان أكثر جمالاً وجلالاً قبل الثالث عشر من أيلول، وأما السماح للتنظيمات والأحزاب المؤيدة بممارسة نشاطها علناً، فقد كانت تفعل ذلك

وبشكل شبه علني قبل الاتفاق أيضاً، أما المعتقلون فما زالوا في معتقلاتهم، بل إن أعدادهم تزداد كل يوم. وبالتالي، فان أمراً جوهرياً بالمعنى الحقيقي، لم يتغير، وهذا ما يدركه الشارع الآن، والذي يؤدي يوماً بعد يوم إلى الاحساس بالمرارة، وخيبة الأمل، ومن ثم تراجعهم عن تأييد الاتفاق، أو تحفظهم عليه، وسط هذه الدوامة والغموض، الذي يتضح يوماً بعد يوم.

إذ إن الشارع الفلسطيني، يتطلع إلى تغير على الأرض، وإن لم يكن هناك شيء من هذا القبيل، كيف يمكن أن يستمروا في تأييده، ولعل أهم ما يطرحه الشارع الآن من أسئلة، إذا كان الموقف الاسرائيلي فيما يتعلق بأريحا وغزة على هذا النحو، فكيف يمكن أن يكون الحال عند الوصول إلى جنين والخليل وبيت لحم ورام الله، ومن ثم القدس؟! علماً بأن غزة وأريحا، لا يقطنها من المستوطنين أكثر من ألفين، فكيف سيكون الحال عند الحديث عن مناطق يسكنها أكثر من مئة ألف مستوطن؟!

يتضح الآن، أن الاتفاق المذكور، بحاجة إلى اتفاق آخر، يوضح الأمور "أولها وآخرها"، وبرأيي، أن هيئة دولية، كالأمم المتحدة، هي القادرة بعد ذلك فقط، على الاشراف على تنفيذ الاتفاق. والبدء بفك الارتباط والاشراف عليه، ومن غير ذلك ، سوف يظل الاسرائيليون والفلسطينيون، يلتقون في عواصم العالم ومنتجعاته، دون طائل.

وإلى أن يتم ذلك، على الحكومة الاسرائيلية، أن تعي جيداً، أن أغلبية الشعب الفلسطيني، مع الاتفاق إذا كانت أريحا وغزة أولاً، ثم يتبعها بخطى حثيثة، بقية المناطق والأراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧، وأن آخراً يعني دولة فلسطينية ذات سيادة، على هذه الأراضي، ولا أظن أحداً من الفلسطينيين، يوافق على "أولاً" دون أن يكون "آخراً" واضح المعالم والأهداف.

من جانبها، يجب أن تدرك القيادة الفلسطينية، أن ثقة الجماهير الفلسطينية ودعمها لها، رهن بتمسكها بهذه المواقف والأهداف، ووصولاً إلى ذلك، عليها أن تدرك أن النهج الذي تتبعه لتحقيق ذلك، لن يؤدي إلى ما يصبو إليه الشعب الفلسطيني، وقدم من أجله كل هذه التضحيات، فالأمر يتطلب إعادة النظر في اتخاذ القرارات، وخصوصاً، حين يتعلق الأمر بمستقبل شعب بأسره.

اعلان

تعلن ادارة مجلة الكاتب الى القراء الاعزاء

وجميع الكتاب والمكتبات في منطقة القدس

ان وكيلنا المعتمد هو :

عمير دعنا (أبو سلام)

القدس - باب العامود

ماذا سيحصل لواقعنا التعليمي؟!
هل سيصبح المعلم وحيداً.... يواجه تحديات الجغرافيا الجديدة؟!
وهل سيستوعب الجيل حدود فلسطين المختصرة؟!

محمد جابر

كأنها أيام زمان تصر أن تبعث فينا كذكرى جميلة
تمحو القسوة التي انطبعت عن رأس عذاباتنا يوم
قدرنا محاربة الجهل/
والمرض/
والفقر
وكأنك ايها الأب المعلم تطوف اليوم في وعينا كفلك
حائر، محاصر بالسياسة والثقافة المشوهة
والحدود المختزلة وهذا الجيل الذي التزم طويلاً
بتعاليم الحصاد،... فصار امتداداً يتعاظم
ويتهذب في انجاز ثالوث البقاء... الارض/
والانسان/
والهوية/
وكأنهم اليوم يواجهونك بامتدادك بهذا الجيل الذي
سيظل يفيض عطاء مهما تخبطت المواقع أو
اشتبكت في مواجهة صادقة مع افرازات المرحلة
الجديدة.....

يتقاسم المؤيدون والمعارضون للاتفاق الاخير غزة - أريحا... أولاً ادوارهم في شارع يكتظ بالترقب والانفعال المشحون بمشاعر الاحباط، أو حتى التحرر من قيود اقتضتها ديمقراطية شارعنا في التعبير عن الموقف الناضج والقرار النابع من ارض المعاناة ذاتها.

فالفلسطينيون وبعد رحلة طويلة التي ربما ستستمر الى حقبة قادمة ما زالوا يطمحون في حالة من الاستقرار توفر لهم خدمات اساسية متوقعة تدفع تجاه تحسين مستوى معيشتهم في ظلال اجواء سلطة وطنية مقتدرة قادرة على ضبط الشارع وتوجيهه لمرحلة البناء الضرورية لبناء دولة ذات سيادة وقانون وانسان ينعم بالحياة الكريمة.

ومهما يكن فان المعارضين للاتفاق يبدون تحفظهم حول مستقبل الكيان الجديد والسلطة القادمة.

ولان التمرد... سلوك الرفض الذي يتشكل باستمرار كعملية احتجاج تتدافع حتى تطال كامل جوانب الحياة، وذلك كنتاج طبيعي لواقع القهر ومسبباته.

وعليه فقد يأتي التمرد محصلة معقولة لنضوج الوجع واكتمال حالة التوتر الضرورية لمواجهة الواقع الجديد، اعني بداية تسلم السلطة الوطنية لمهامها الضرورية لبناء الكيان الجديد.

فهل سيكون بامكان الشارع أن يستوعب الحالة الجديدة المترتبة على ما بعد الاتفاق غزة.... اريحا؟!! أم ان حصادنا التخبط وارتكاب الاخطاء التي بالضرورة ستنعكس سلباً في اعاقة مراحل البناء وآلياتها؟!! واسناداً على هذا الواقع اعتبر أن الرفض سيكون موجهاً بشكلياته لا بجوهره، مما سيقودنا الى ارتكاب نفس الاخطاء وربما اشدها سلبية وذلك في ظل غياب الوعي الضروري لاستيعاب المرحلة الجديدة مرحلة ما بعد الاتفاق والتعاطي معها بآلية واعية في استثمار الممكن وما يقرره من مناهج جديدة وجغرافيا مختزلة الحدود.

فمن يسكت صوت القبطان؟!!

يقولون أن الكبير في بلادنا صغير، وان الصغير كبير وسواء شئنا ام ابينا فقد تورطنا رغما عنا في دائرة عالم جديد، عالم جائع لاهث يستهلك من آلات الدمار اكثر مما يستهلك من القمح.

ان مثل هذا الواقع المخاضي يمكن ان يكون سبباً في كشف بعض النواقص في برامجنا الاجتماعية والتربوية والثقافية، فيكون لنا إن تناسيناها أن نبتلع السلبية ونتبناها كتوجه مدمر يسقطنا في مواجهة الشارع والجماهير. فهل سيقف المعلم وحيداً يواجه الأزمة الحاصلة... ام انها المؤسسة الاسرية ستأخذ دورها كتعويض يمنع تراجع الجيل وافلاسه؟!!

الافتراض يقول اننا لن نخوض في متاهات القاء اللوم على فلان أو علان، ولن يكون بامكاننا أن نتنصل عن تأدية دورنا في صنع الواجب واستثمار حالات الممكن المحسوبة على عمرنا ومسيرتنا في التحدي المثقلة بموازين القهر والحصار.

من هنا يكون فشل السلطة الجديدة أو عدم مصداقيتها سبباً أكيداً في تعثر عمليات البناء الضرورية لصنع المستقبل الذي سيشمل الجيل والمعلم بشروط الحياة الكريمة الواضحة الحدود والمهام المنزهة عن اسباب

الغش/

والعوز/

والضياع/

وعليه فقد نخلص الى أن الاتفاق الاخير لن يكون مشوهاً لدرجة غير معقولة وان كانت لدينا بعض التحفظات الضرورية.

فنحن نعتقد أن الواقع هو التحدي الحقيقي، فالهوية لا تعطى أو تمنح... لكننا نبنيها بالايمان والعمل. وبالتالي فاننا نرى أن الاتفاق الاخير... اعلان المباديء قد يكون بداية المشوار الطويلة في بناء الهوية وحدود الوطن، فالاحتلال لن يعطينا هذا الشيء العزيز، لكننا بالمقابل نجبره على ذلك عن طريق نبذ الفرقة بين ابناء شعبنا الواحد، نجبره على التراجع عندما نوازن بين الرأي والرأي الآخر، فنحن نحتاج لمزيد من الالتفاف حول قوانا الفاعلة التي ربما تخلق الفرصة لتمارس دورها الطبيعي في البناء والتعمير.

ومع هذا فقد يبرر الواقع بكامل تفاصيله كتحد صارخ لطموحنا اعني لجوء المعلم في الفترة السابقة للاتفاق الى ممارسة اعمال اضافية لسد عوزه، وحاجته الاسرية، لكنه في مرحلة ما بعد الاتفاق يطمع في تطوير مستواه المعيشي والاجتماعي... لكنه ما زال حائراً بخصوص الدور الموكل اليه في المرحلة الآتية... فهل سيبشر بجغرافيا اسرائيل الجديدة... ام انه سيتحدث عن حق الشعبين في ارض فلسطين المقسمة؟!! اعتقد ان الجيل ومعلميه ربما سينخرطون في موجة التقاسم والمواجهة الديمقراطية بين مؤيد ومعارض والاحتكام لسلطة وطنية قادرة على صون الانسان وكرامته.

السؤال الاول:

هل ستمارس السلطة الوطنية الجديدة الدور السابق في اغلاق مؤسسات التعليم باعتبارها تجمعات تناهض السلطة وتقود الاحتجاج مما قد يتسبب في اعاقة التطور لعملية التوصل الاكاديمي وتجذيره؟

السؤال الثاني:

هل سينشغل الطلاب اثناء الدرس، وذلك بمتابعة ما يجري خارجاً سيما ورجال السلطة يتمركزون مدججين بكامل العتاد على مقربة من مؤسسات التعليم؟

السؤال الثالث:

هل ستنتفي اسباب المحسوبية والتملق في ظلال اجواء السلطة الجديدة فيعود الرجل المناسب للمكان المناسب وتختفي ظاهرة (عيون السلطة) التي غالباً ما سعت الى تطوير الفتنة واشتعالها؟!

السؤال الرابع:

هل ستعود القيم والعادات الاجتماعية الضابطة التي تجسدت بالاسرة/ والمدرسة/ وهذا القطاع الواسع المتمثل بعميد العائلة وكبار السن في الحي والموقع والحارة... هل سيعود هؤلاء يمارسون دورهم وعزهم القديم؟!

إن المتتبع لمثل هذه التساؤلات المحتملة لن يلتزم الصمت في مواجهة التراكمات المتوقعة في اكثر من ظاهرة فساد معنونة بالتعثر والتبرير والتنصل... فمن سيكون المسؤول؟!

المعلم/ الثقافة/السلطة/التربية... ام كلها مجتمعة؟!

في اعتقادي أننا امام ثلاث ظواهر على الاقل سوف تطرأ على واقع التعليم:

الظاهرة الاولى:

الغش... ظاهرة قديمة جديدة تتطور كتبرير متوقع لنجاحنا أو تسلقنا من صف الى آخر، ومن مؤسسة الى أخرى وذلك كتعويض أو ثمن لخدماتنا او انقطاعاتنا عن مواصلة مشوار التعليم.

الظاهرة الثانية:

الاحترام المتبادل بين الطالب ومعلمه وغياب هذه القدسية عن واقع التعليم باعتبار المعلم طرفاً معادياً للجيل او السلطة، مما سيوقع المعلم في دائرة الصدام.

الظاهرة الثالثة:

انهيار الصورة الجميلة للعملية التعليمية وذلك كانعكاس متوقع للفلسفة المادية الممتدة الى المرحلة الجديدة (معك قرش بتسوى قرش) مما سيدفع الطلاب انفسهم ليصرخوا... ما فائدة التعليم؟!

ومن هنا، واعتماداً على الوعد بانتشالنا من مرحلة العوز الى مرحلة الانتعاش والرفاه نتمنى أن لا تتسع دائرة القهر ليصير (للقرش) فلسفة خاصة تغري الجيل

بالانخراط في مرحلة الانتعاش المأمول وذلك بفعل تراكمات العوز وهذا اللهاث وراء الخبز المر حتى تصير الاسرة تجهل الى اي صف وصل ابنها.

إن جميع التساؤلات والقضايا التي مررنا عنها في هذه المعالجة تتطلب منا أن نتدارسها بعقل منفتح نحو الايجابية في العمل والبناء، فالمسيرة التعليمية في وضعنا الراهن هي جزء من مسيرتنا الشاملة في خلق مجتمع جديد وفلسطين واضحة الحدود والجغرافيا. فهل سنسمو الى واقع المسؤولية الملقاة على عاتق الجميع؟!

نعم يجب أن نقفز فوق جراحاتنا ونمضي يداً بيد نبني الجيل تلو الجيل ملتزمين بايجابية العلم والايمان وبانساننا الصامد المبدع... فهو التاريخ لن يرحم جاهلاً أو مهادناً.

«الدخيل» رواية لعدي مدانات

في منزل واحد، وبين جدران اربعة تضم اثنين ثالثهما القارىء، يلتقي رجل مشبع بالتجارب المريرة، والجروح التي لم تجف بعد، بفتاة ممتلئة حياة وحيوية.. ترغب بالعيش دون حساب لما سيأتي به الزمن تعقيبا لذلك.

رواية ذات اسلوب شيق.. جذاب.. تعمل على شد القارىء الى محور الصراع بين الشخصيتين الاساسيتين في رواية «الدخيل» لعدي مدانات الصادرة مؤخرا في دمشق عن دار «الاهالي» ويمتد زمن احداث الرواية ثمانية ايام وتسع ليال.

وليلة تلو ليلة، ويوماً إثر يوم، ومع كل صفحة تقلبها في الرواية تغوص رويداً رويداً في اعماق الشخصيتين.

إنها مجنونة... هكذا أدانها «المجتمع»، ورغبة منه في انقاذ نفسه من اعبائه التي يرزح تحتها، صار يحفز أولاده لرشقها بالحجارة مما جعلها تلجأ الى باحة الدار حماية لنفسها.

شعثاء... أجل... مدماة. بالطبع، ولا تنطق بحرف... كيف لرجل يقابلها أن يخلق جواً من المشاعر والاحاسيس، والتحدث؟

ولربما لأنها كذلك أدعى للرجل أن يأتي بما فعله، ويقول:

«لا يهمني ان يجري الحديث من طرف واحد، فالأمر سيان لدي. فكثيراً ما التفت عني اشخاص وأنا أحدثهم بما أشكو منه، وانصرفوا إلى شأن آخر، وهنا تأتي الفائدة من وجودك، اقول كل ما لدي دون ان تخلوا جعبتي من الكلام»، الكلام الذي يفتقده الرجل في خريف العمر يشبه الى حد اختفاء الماء من رائحته الملموسة، وطعمه الشذي... يشبه انسلال الحياة من نبتة خضراء، وتساقط اوراق الايام عن حائط الجسد.

ويتقابل عالمان.... يتمازجان... يختلطان مرة، ويتفردان كل بوحدانيته مرات.

هكذا نراه حولنا، في حياتنا اليومية... هكذا نلمسه ايضاً في اعماق قضية داخلنا، عالم الرجل مشبع بالدفء هستيريا وغضب خوف وظلام والبوتقة التي تجمعها هي المنزل.. هي الشخصية المعنوية التي تحيط بنا وتتلبس نفسية المجتمع.

ويعترض اهل الحارة على ذلك الوضع مما يحدو بالرجل ان يأخذها الى منزل احد زملاء المقهى.

وتعاود الرتابة حياته... يعلم بذلك مسبقاً.

وتراوده افكار حول من يقسم حيوات البشر ورسم خطوطها. فيقول لنفسه عندما تفر «المجنونة» من منزله.

«تفر العصافير من القط، ويفر القط من الفتاة المشاكسة، وتفر هي من شقاوة الاولاد، ويفر الاولاد من اكبر منهم، ويفر... هو من نفسه، ومن عزلته ولكن عزلته في غياب هذه المرأة ستلاحقه، وستطوقه من جديد بلا فرار» تمتلىء صفحات الرواية بطاقات هائلة، وقدرة فائقة على السرد، ويقف خلفها عدي مدانات بقلمه الرشيق، وثقافته العالية، وتتبعه لتاريخ السرد العربي، ومدى تطوره في الحكاية العربية.

حالة الفساد السائدة
تولد أكثر من عدنان ياسين

منير سلام

تعتبر قضية الأمن الوطني من القضايا الهامة لأية دولة في العالم سواء كانت تعيش حالة حرب أوسلام، ولا أظن أن أية حركة تحرر وطني، لم تكن في يوم من الأيام هدفاً لأعدائها والتجسس على قادتها، لمعرفة تحركاتهم وأفكارهم وخططهم للمرحلة الراهنة أو المستقبلية. ولا أعتقد أنه أصبح خافياً على أحد مدى قدرة المخابرات الاسرائيلية على محاولاتها المتكررة لاختراق أجهزة م.ت.ف ومحاولة استشفاف تفكير القادة الفلسطينيين.

أخيراً، تم اكتشاف حالة تجسس اسرائيلية داخل م.ت.ف بطلها عدنان ياسين، ورغم كل ما قيل عن هذه القضية أو كتب، يجدر بنا التوقف ولو قليلاً عندها التي لم ولن تكون الأولى أو الأخيرة، وبناء عليه ضرورة أخذ الحيطة والحذر في كل ما يتعلق بالنواحي الأمنية.

عدنان ياسين نموذج للفساد القائم

عدنان ياسين يقيم في تونس منذ العام ١٩٧١، وانضم إلى حركة فتح في العام ١٩٦٨، وأخيراً وصل إلى نائب السفير الفلسطيني حكم بلعاوي، الذي يرأس جهاز الأمن المركزي في م.ت.ف، متهم بالتجسس لصالح الموساد الاسرائيلي، حيث تم إكتشاف جهازي ارسال، الأول مثبت في كرسي والآخر في جهاز اضاءة قدمها عدنان ياسين للسيد محمود عباس "أبو مازن"، حيث كانت هناك علاقة تنظيمية وقرابة بينهما. وعندما يبدأ الانسان بالسقوط أو الفشل تكثر السكاكين على رقبته كما يقولون. فعدنان ياسين الذي عمل في السفارة الفلسطينية في تونس أكثر من ٢٥ عاماً، ليصبح نائباً لحكم بلعاوي، يصبح بعد انكشاف أمره مجرد موظف فاشل في عمله. يقول حكم بلعاوي عنه "عدنان ياسين كان مجرد موظف اداري فشل في السنوات الأخيرة في القيام بعمله على أكمل وجه وأبعد عن مكتب م.ت.ف أكثر من مرة وعرف عنه انحرافه الاجتماعي".

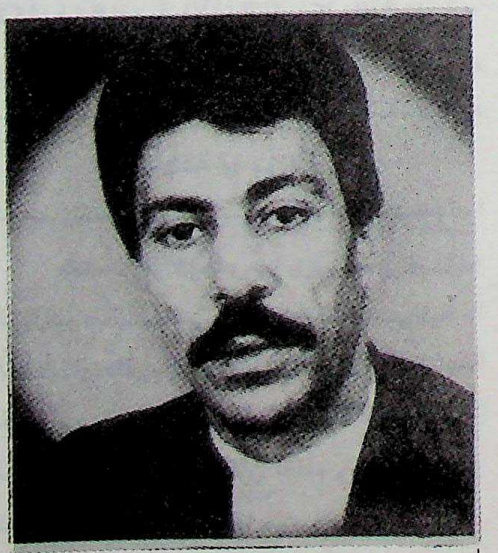

عدنان ياسين جاسوس للموساد

إذا كانت هذه ملاحظات المسؤول عن موظفه، فالسؤال هو لماذا استمر هذا الموظف في عمله حتى اللحظة الأخيرة من اعتقاله؟! ولماذا أبعد أكثر من مرة، وكيف كان يعود إلى عمله، أليس نظام الواسطات وكرت غوار ... أم ماذا؟؟

ليس هذا فحسب، بل الأنكى من ذلك هو اجابة حكم بلعاوي عن الأسباب التي دفعت عدنان ياسين، التعرض لما اتهم به من تعامل مع الموساد، أجاب قائلاً:"أعتقد أنه انسان محدود الأفق ليس لديه أرضية سياسية ولا ثقافية صلبة تحول دون وقوعه في مثل هذا الشرك. ويدل على ذلك اعترافه بأنهم طلبوا منه القول في حال القبض عليه أنه يعمل لحساب حلف شمال الأطلسي". اذا كانت هذه هي صفات هذا الرجل، فالسؤال هو

الكاتب

كيف وصل الى ما وصل إليه؟!!. أليس هذا دليل آخر على عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب! أم ماذا؟!!.

مثال آخر على الفساد هو حسب ما أشارت إليه بعض الروايات غير الرسمية والتي تقول أن علاج زوجته في فرنسا كلف حوالي ربع مليون دولار، وربما يكون أكثر أو أقل، فليس هذا المهم. والمهم هو كيف يمكن صرف مثل هذه الأموال من الصندوق القومي لشخص مهما كان منصبه، وتقف طوابير من أمهات الشهداء والمعتقلين أمام مكتب م.ت.ف في عمان لطلب المساعدة، ليعدن خائبات، بعد سماعهن شتى المسبات والاهانات، ناهيك عن خسارة جهودهن ووقتهن وأموالهن. ألا يدل ذلك على مدى الفساد والاستهتار بعقول الناس؟!!.

هذان مثلان بسيطان على مدى عمق الفساد المستشري والذي ينخر أجهزة م.ت.ف، وأكيد المخفى أعظم؟!.

هدف اسرائيل ودهشة فلسطينية

ليس صدفة أن يكون مكان التجسس هو مكتب محمود عباس "أبو مازن" الذي يشرف على المفاوضات مع اسرائيل، ولهذا حرصت اسرائيل على معرفة والحصول على تفاصيل موقف م.ت.ف من المفاوضات من خلال استماعها إلى ما يجري من حوارات ونقاشات في مكتب أبو مازن، حيث لم يعني اسرائيل كثيراً تنفيذ عمليات اغتيال للقادة الفلسطينين بقدر معرفتها بتكتيك واستراتيجية الفلسطينيين من عملية السلام، وهذا ما حصل فعلاً، ففي لقاء محمود عباس مع وزير الخارجية الاسرائيلي شمعون بيرس في القاهرة في منتصف تشرين الأول الماضي، "أصيب أبو مازن بالدهشة عندما راجعه بيرس في بعض الأفكار الفلسطينية الخاصة بسبل تطبيق اتفاق غزة/أريحا أولاً، خصوصاً إنها لم تطرح سوى في اجتماع سري مغلق اقتصر على "ابو مازن" والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح محمد غنيم "أبو ماهر" في مكتب الأول وتناول بعض التكتيكات الآنية والاستراتيجية الخاصة بعملية السلام عموماً والاتفاق المرحلي على الحكم الذاتي خصوصاً.

وعندما عاد أبو مازن وأخبر القيادة الفلسطينية بما حصل في الاجتماع، أنتاب الشك جميع أعضاء هذه القيادة، ودعاهم إلى تكثيف الجهود الأمنية في كل الأشخاص والأماكن.

صدفة ام ماذا؟

عندما زار دينس روس رئيس قسم التخطيط السياسي في الادارة الأميركية المنطقة، طلب الوفد الأمني المرافق له قبل لقائه بعرفات وغيره من القيادة السياسية الفلسطينية زيارة مكان اللقاء ومسحه من الناحية الأمنية خوفاً من وجود أجهزة تنصت أو ما شابه ذلك، وفعلاً قام الفريق برفقة أمين الهندي المسؤول في أمن المنظمة بمسح المكان. فهل هي صدفة أم ماذا، حيث تنبه "أبو مازن" إلى ذلك، وما تسرب عن الاجتماع الذي عقده في مكتبه، فطلب من الأجهزة الأمنية التونسية «مسح» مكتبه بالأجهزة الالكترونية، مما أدى إلى اكتشافها جهاز الاضاءة الموضوع على طاولته ويحتوي على جهاز تصوير متطوراً اضافة إلى مقعد «أبو مازن» الذي يحتضن جهازين للبث والارسال، اضافة إلى ما وجد لاحقاً في بيت ياسين من حبر سري وأربعة اقلام عادية الشكل لكنها تحمل أجهزة تنصت متطورة، كان في امكان ياسين حملها في جيبه وحضور أي اجتماع أو لقاء فلسطيني.

مكتب محمود عباس ويظهر جهاز الاضاءة الذي وجد فيه جهاز تصوير متطور

هل هناك آخرون مثل ياسين

تخشى بعض الاوساط الفلسطينية أن يكون هناك شبكة تجسس يقودها ياسين، ومعرفة هذا الأمر مرهون بالتحقيق الذي يجري مع ياسين ضمن سرية تامة. ولكن كل المؤشرات تشير إلى أن ياسين كان على علاقة مع آخرين. ويجري التحقيق حالياً عما اذا كان ياسين على علاقة مع حمزة أبو زيد الذي أعدم بتهمة اغتيال «أبو اياد» و «أبو الهول» في كانون ثاني عام ١٩٩١،

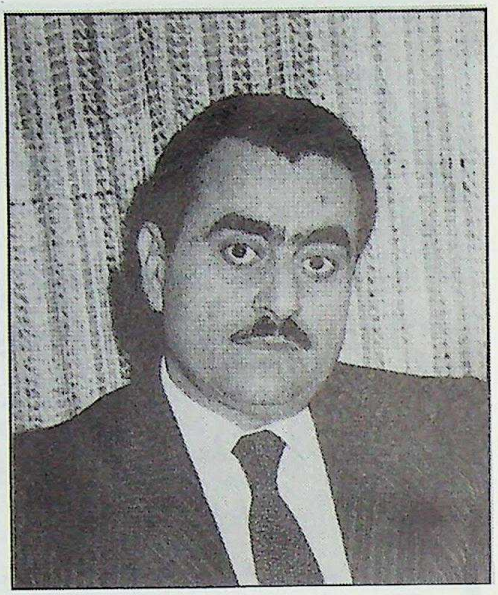

حكم بلعاوي رئيس الامن المركزي الفلسطيني

حيث الاثنان من بلدة واحدة «السافرية».

وعندما تم نشر خبر اعتقال ياسين، ذهب محمد صادق المسؤول عن جهاز اللاسلكي الخاص بعرفات واعترف امام عرفات بأنه يعمل لحساب الموساد الاسرائيلي.

وأوضح محمد صادق فيصل لاحقاً أن توقيفه جاء نتيجة تصفية حسابات شخصية، وأن الشخص الوحيد المتهم لصالح اسرائيل هي زوجته المجرية الأصل «ماريا ميكلوس ايوزاكس». وفي اشارة الى تبرير نفسه قال صادق أن زوجته التي شكت في أن أمرها قد افتضح وأنه على علم بالعلاقات المشبوهة التي تقيمها مع عدد من الاشخاص الذين كانوا يرتادون على منزله بصورة دورية طلبت منه الطلاق ثم عادت إلى «بودابست» بحجة الاطمئنان على صحة والدها المريضين، ومن هناك انتقلت إلى باريس. وبعد ذلك عادت من جديد إلى بودابست وبقيت هناك فكرة.. واتصلت بعناصر «الشبكة» الذين سرعان ما التزموا بتوجيهات زوجته وتصرفوا على طريقتهم الخاصة حيث ألصقوا به أولاً تهمة الفساد الاخلاقي وتمكنوا بفضل نفوذهم من استصدار أمر باعتقاله في سجن "حمام الشط" ثم روجوا في مرحلة لاحقة تهمة التجسس وارتباطه بالموساد لكي يسيئوا إلى سمعته.

أخيراً، ان كل ذلك سيتم معرفته على ضوء التحقيق الجاري حالياً مع ياسين.

خلاصة

من أجل ضمان سلامة القيادة الفلسطينية وعدم اختراق أي جهاز من أجهزة م.ت.ف. فان الأمر المطلوب فوراً، هو القيام بعملية مسح أمني شاملة في جميع مكاتب القيادة الفلسطينية، وكذلك وضع أجهزة الكترونية حديثة للكشف عن أية أجهزة تجسس كالتي كان يستخدمها ياسين.

كما أنه ليس من الأخلاقي أن نضع كل أصابع الاتهام على ياسين و غيره، أو أن نقلل من حجم القضية، دون ان نوجه إلى أنفسنا أي نقد على تقصيرنا لعملنا. واقصد بذلك السيد حكم بلعاوي، الذي لم ينتقد نفسه بتاتاً كونه المسؤول عن ياسين.

أخيراً، إن مظاهر الفساد الموجه في أجهزة م.ت.ف يمكن أن تشكل أكثر من حالة ياسين، ولهذا فمقاومة هذا الفساد والقضاء عليه من شأنه أن يقضي على أية محاولة خرق أمني جديد.

نأمل أن تكون القيادة الفلسطينية قد استفادت وأخذت الدروس والعبر من قضية عدنان ياسين، لأن المرحلة القادمة، ستكون أخطر مما نحن عليه اليوم، خاصة وأن عودة القيادة إلى الأراضي المحتلة، سيكلفها غالياً إذا لم تأخذ ذلك بعين الاعتبار.

عدنان ياسين

* من مواليد بلدة السافرية - فلسطين عام ١٩٤٩
* متزوج من ابنة عمه وله منها ٣ اولاد، صبيان جهاد وهاني، وبنت، عايدة، كما يشرف على كفالة طفلين لشقيق زوجته الذي استشهد خلال سنوات الحرب اللبنانية.

صورة للموساد

* كان عدنان ياسين يتردد دائما على «بيت الصمود» في حي العمران التونسي حيث يعيش اولاد الشهداء، وكان يتجمع عدد منهم حوله، وقد نقل عنه قوله لمجموعة منهم: "اذا عرفتم حقيقة عمكم عدنان لبصقتم عليه".
* كان يبكي كثيرا في المنزل، وكان اولاده، خصوصا عايدة، يعتقدون انه يبكي لأن والدتهم مصابة بمرض السرطان.
* كان يردد دائما كلمة «داسوس» بالعامية وهي جاسوس بالفصحى.
* حين كان يسأله احدهم سبب طلبه اربع صور لاجراء معاملات لأحد العاملين في مكاتب المنظمة كان يقول: «صورة للهوية وصورة للحفظ وصورة للجهاز وصورة... للموساد». ويبتسم.

قائمة بأسماء شهداء جدد

دخلت الانتفاضة عامها السابع في أجواء مشحونة شهدتها الأراضي المحتلة وخاصة بعد أنفلات المستوطنين وتهديدهم لحياة وممتلكات المواطنين، هذا ولا تزال المفاوضات الجارية من أجل تطبيق اتفاق المباديء بين اسرائيل وم.ت.ف تواجه بعض الصعوبات والعراقيل، ان لم تكن أزمات.

في ظل هذه الأوضاع لا زال الشعب الفلسطيني يقدم خيرة شبابه من أجل حريته واستقلاله. وخلال الشهور الثلاثة الماضية سقط (٣٨) شهيداً، وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة إلى (١٤٥٤) شهيداً.

وفيما يلي قائمة بأسماء الشهداء الجدد:

الأربعاء ١٩٩٣/١٠/٢٠

- مريم محمود الغلبان (٤٩ عاماً) رفح/قطاع غزة. دهست من قبل سيارة عسكرية.

الاثنين ١٩٩٣/١٠/٢٥

- يحيى عبد الناطور (٢٢ عاماً) طولكرم. استشهد داخل السجن.

الأحد ١٩٩٣/١٠/٣١

- تامر زيادة (١٧ عاماً) غزة. أصيب بعيارات نارية.
- عزمي عبد المجيد قديح (٢٠ عاماً) خانيونس/قطاع غزة. اصيب بعيارات نارية.

الاثنين ١٩٩٣/١١/١

- ابراهيم أسعد يونس (٤٨ عاماً)
- عائشة أحمد حسن يونس (٦٥ عاماً)
- نورا صدقي اسعد يونس (٢٨ عاماً)

جميعهم من قرية سنيريا/طولكرم، حيث صدمتهم سيارة شحن اسرائيلية السيارة التي كانوا يستقلونها، وتركتهم جثثاً هامدة في داخل السيارة.

الثلاثاء ١٩٩٣/١١/٢

- سلامة أحمد سلامة يوسف (٢٦ عاماً) قرية بدرس/رام الله. استشهد قرب قرية سنجل أثر انفجار سيارة مفخخة على طريق مستوطنة «شيلو».

الاثنين ١٩٩٣/١١/٨

- سليم محمود عطية صبيح (٢٢ عاماً) قرية تقوع/ بيت لحم. استشهد بعد قصف المنزل الذي كان يختبىء به في قرية بيت عوا قضاء الخليل بالصواريخ المضادة للدبابات، حيث كان الشهيد مطلوباً لقوات الأمن.

الجمعة ١٩٩٣/١١/١٢

- محمد عدنان عبد اللطيف سعد (٢٢ عاماً) نابلس. استشهد قرب حاجز ضاحية البريد شمال القدس، بحجة عدم التوقف.

السبت ١٩٩٣/١١/١٣

- اياد محمود عوض بدران (١٨ عاماً) قبلان/نابلس. أطلق جنود الحاجز عليه النار بالقرب من قرية سلفيت.

الاثنين ١٩٩٣/١١/١٥

- «محمد جودي» ياقين عبد الكريم برقان (٢٦ عاماً) الخليل. أصيب بطلقات مسدس على يد أحد المستوطنين.

الثلاثاء ١٩٩٣/١١/١٦

- رامي عزت غزاوي (١٥ عاماً) البيرة/رام الله. أصيب برصاص الجيش داخل المدرسة الهاشمية.
- شادي مصلح محمد عيسى (١٩ عاماً) حي الدرج/غزة. استشهد في المنطقة الصناعية - ايرز بعد محاولته طعن شرطيين اسرائيليين.

الجمعة ١٩٩٣/١١/١٩

- حسان محمد جيعان الصوفي (٣٥ عاماً) رفح/-قطاع غزة. أصيب بعيار نارياً في ظهره بعد أن أطلقت مجموعة من المستوطنين النار على السيارة التي كان يستقلها يوم ١١/١٧.

الاثنين ١٩٩٣/١١/٢٢

- معمر صلاح سالم المبيض (٢٠ عاماً) حي الشجاعية/غزة. توفي في مستشفى "برزلاي" بعد اصابته على يد أحد الجنود، بعد أن حاول الاصطدام بسيارة تابعة للادارة المدنية.

الثلاثاء ١٩٩٣/١١/٢٣

- علي محمد أحمد الفرا (٣٥ عاماً) خانيونس/قطاع غزة. أصيب برصاصة اخترقت الظهر إلى الصدر أسفل القلب وقطعت الشريان الرئيسي مما أدى إلى نزيف داخلي حاد، حيث استشهد بعد نصف ساعة من وصوله المستشفى.

- عبد الرزاق عمران حسين أبو شخيدم امريش (٢٣ عاماً) الخليل. إثر انفجار عبوة ناسفة بين يديه.

الأربعاء ١٩٩٣/١١/٢٤

- عماد حسن عقل (٢٤ عاماً) مخيم جباليا/قطاع غزة. استشهد في اشتباك مع دورية عسكرية، ويعتبر الشهيد رئيس كتائب عز الدين القسام الذراع العسكري لحركة حماس.

- نضال عوض (١٧ عاماً) بيت حانون/قطاع غزة. أطلق الجنود النيران على السيارة التي كان يستقلها، مما أدى الى استشهاده.

الجمعة ١٩٩٣/١١/٢٦

- خالد محمود الزير التعمري (٢٥ عاماً) التعامرة/بيت لحم. استشهد في قرية صور باهر بالقدس اثر عملية نفذتها مجموعة من القوات الإسرائيلية الخاصة. كان الشهيد قائد كتائب عز الدين القسام في جنوبي الضفة.

- أحمد عبدالله زهارنة (٢٦ عاماً) غزة. اصيب برصاصة قاتلة عندما أطلق الجنود النار على السيارة التي كان يستقلها.

الأحد ١٩٩٣/١١/٢٨

- أحمد ابو الريش (٢٣ عاماً) خانيونس/قطاع غزة. قتل على يد مجموعة من الجنود الاسرائيليين في زي مدني، حينما كان يقنع زملاءه من صقور فتح بتسليم أنفسهم.

- فريد مطير (٢٤ عاماً) خانيونس/قطاع غزة. أصيب بعيارات نارية.

الثلاثاء ١٩٩٣/١١/٣٠

- حازم محمد مقداد (١٦ عاماً) حي الشيخ رضوان/غزة. اصيب بطريق الخطأ بعدة رصاصات من قبل الجنود عندما كان ماراً في الشارع.

الأحد ١٩٩٣/١٢/٥

- طلال رشدي البكري (٥٣ عاماً) الخليل. أصيب برصاص أحد المستوطنين يوم الجمعة في المدينة.

- خالد عوض شحادة (٢٤ عاماً) مخيم جباليا/قطاع غزة. أصيب برصاص جندي اسرائيلي بعد محاولته اختطاف سيارة باص اسرائيلية في مدينة حولون قرب تل أبيب.

الاثنين ١٩٩٣/١٢/٦

- عبد الرحمن ابراهيم العاروري (٣٢ عاماً) قرية عارورة/ رام الله. استشهد على يد القوات الخاصة في منزله.

- باسمة محمد التميمي (٤٥ عاماً) النبي صالح/رام الله. استشهدت بعد تعرضها للضرب من قبل مجندة أثناء زيارة إبنها في سجن رام الله، حيث أدخلت إلى قسم العناية المكثفة في مستشفى رام الله منذ يوم الخميس.

الخميس ١٩٩٣/١٢/٩

- خميس محمد محمود أبو عواد (٥٤ عاماً) قرية ترمسعيا/رام الله. قتله أحد المستوطنين باطلاق النار عليه، بينما كان الشهيد يفلح الأرض في قريته.

الجمعة ١٩٩٣/١٢/١٠

- سعادة عبد المهدي علي طه الفطافطة (٢٩ عاماً)

- محمد عبد المهدي علي طه الفطافطة (٢٧ عاماً)

- اسحق محمود علي طه الفطافطة (٢٧ عاماً)

ثلاثتهم من ترقوميا/الخليل، حيث استشهدوا بعد اطلاق النار عليهم من قبل مستوطنين، أثناء عودتهم من العمل.

الاثنين ١٩٩٣/١٢/١٣

- اشرف جميل السندي (٢٣ عاماً) رفح/قطاع غزة.

- محمد (هجرس) أبو عمرة (٢٣ عاماً) رفح/قطاع غزة.

تعرضا لاطلاق النار من كمين نصبته لهما قوة من الجيش وهما في داخل سيارة.

- أنور عبد الله عبد الكريم عزيز (٢١ عاماً) مخيم جباليا/قطاع غزة. استشهد خلال عملية انتحارية بتفجير سيارة اسعاف قرب مركز الشرطة في حي الشجاعية.

الأربعاء ١٩٩٣/١٢/١٥

- أشرف محمد أحمد خليل (١٨ عاماً) مخيم جباليا/قطاع غزة. طعن جندي في مقر الادارة المدنية في جباليا، فأطلق الجندي عليه النار مما أدى الى وفاته.

الجمعة ١٩٩٣/١٢/٢٤

- احمد محمد عبد المجيد قوقاس اخليل (١٩ عاماً) بيت أمر/ الخليل. أصيب برصاص جندي اسرائيلي.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" إذ تنحني إجلالاً للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

تنمية الموارد البشرية وتفعيلها

د. أمين حاج يحيى

مقدمة:

لقد تميز القرن العشرين بانجازاته التكنولوجية المتطورة والمحكمة بما فيها من الدقة والتعقيد وكان اكتشاف الذرة واستعمالاتها واكتشاف الفضاء وهبوط الانسان على القمر قمة هذه الانجازات. لقد كان العنصر البشري وراء وامام هذه الانجازات. ونحن على عتبة القرن الحادي والعشرين ستبقى بل وستزداد اهمية الموارد الانسانية في تحقيق التطور والتقدم والتنمية في المجتمع. ان التزايد السكاني وندرة الموارد المادية وتقلصها، يحتم اعادة النظر في كيفية التعامل مع الموارد البشرية والاستفادة القصوى منه.

ان نجاح المجتمع واي مؤسسة فيه - عامة كانت ام خاصة - يعتمد اعتماداً كبيراً على فاعلية العنصر البشري ومستوى ادائه للعمل المكلف به. وتتوقف هذه الفاعلية على مهارة العاملين ورضاهم عن العمل وظروفه ومناخه وحماسهم وتعاونهم في العمل كفريق. وعند ذكرنا للعاملين لا نستثني مستوى ادارياً واحداً، فالعاملين في المستويات الدنيا يستمدون الحفز او التشجيع او الاحباط والتنشيط من المستويات الادارية العليا، ولذا فكلما عمت الفاعلية على كافة المستويات كلما كان نجاح التنظيم والمؤسسات مضمونا ومؤكداً.

لقد اضحى العنصر البشري من اهم مدخلات نظام المنشآت واصبح الاهتمام يوجه اليه اكثر فأكثر في العقود القليلة الماضية، بعد ان ثبت للادارات المختلفة على كافة المستويات، ان فشل المنظمات او نجاحها هو في الاصل فشل او نجاح لادارة الافراد فيها. لقد اعترفت الادارة الحديثة منذ مطلع هذا القرن بأهمية وظيفة شؤون الافراد في المؤسسات العامة والخاصة. استعراض لنظريات الفكر الاداري يوضح تطور هذا الاهتمام. فمثلاً نظريات السلوك الانساني وتدخل ضمنها نظريات الدوافع والحوافز وظهور علم النفس الصناعي وكلها نظريات موجهة الى العاملين في المنشآت باعتبارهم المركب الاساسي والهام والذي يجب ان يعطى الاولوية على سائر المدخلات الاخرى.

وتقوم ادارة شؤون الافراد على مجموعة من الاسس والمباديء والاساليب يتم بموجبها تحديد عملية التعامل مع الموظفين والعاملين بصورة تضمن تطوير معارفهم وخبراتهم ومهاراتهم وتسعى الادارة الفعالة لشؤون الافراد الى وضع سياسات واجراءات من شأنها ان تحفز العاملين وتستجيب الى رغباتهم وميولهم وتحقيق رضاهم وتساعد على تلبية طموحاتهم بحيث ينعكس ذلك على زيادة قدراتهم وتحقيق فاعلية في الاداء وزيادة في الانتاجية. لقد اصبحت ادارة شؤون الافراد مهنة وفنا وعلماً معترفاً بها ويزداد تقدير دور القائمين عليها من قبل

١١- تقليل الفجوة بين الوظائف التنفيذية والوظائف الاشرافية ومشاركة المشرفين في تحمل مسؤولياتهم من خلال زيادة قدرات وكفاءات المرؤوسين، الامر الذي يؤدي الى تقليل عدد الوظائف الاشرافية وتقليل تكلفتها.

١٢- المساعدة على اكتشاف قيادات جديدة تقود المنشأة بفاعلية وكفاءة نحو تحقيق اهدافها، إذ انه وسيلة تساعد الفرد على التعبير عن نفسه والاشتراك بالمناقشة والحوار لتحليل مسائل ومشاكل علمية وفنية وعملية ومن خلالها يمكن اكتشاف القدرات والطاقات الخلاقة او الابداعية في مجالات العمل او الانتاج.

وتلجأ المؤسسات الى كل او بعض الاساليب التالية لتحقيق الاهداف السابقة:

١- أن توعز ادارة المنشأة الى ادارة الأفراد فيها (وحدة تنمية الطاقة البشرية) Human Resources Unit للقيام بدراسة وتحليل المنشأة ككل للتثبت من حاجة المنظمة باقسامها ووحداتها الى التدريب واختيار الوسيلة الصحيحة للكشف عن الموظفين الذين يحتاجون الى التدريب من اجل وضع البرامج المناسبة لهم.

٢- تزويد الموظف الجديد منذ التحاقه بالخدمة بأساليب وعادات عمل تساعده على التعرف على طبيعة عمله ووظيفته واهميتها واعتماد الوسائل المناسبة لتنفيذها في اقصر وقت وبأقل جهد وفقاً للتعليمات والمواصفات المحدودة.

٣- دراسة وتحليل اقسام المنظمة ووحداتها ووظائفها الرئيسة للتأكد من وجود التنسيق والتكامل بين الاقسام والادارة المختلفة وانها تتحرك دون خلاف او عقبات نحو الاهداف الكلية، فقد تكشف الدراسة عن وجود هذه الظواهر في مجال العلاقات الوظيفية التي قد تنجم عن التداخل في الاختصاصات او في السلطة او في التفويض وبالتالي تسعى المنشأة الى وضع البرامج التدريبية التي تكفل التخفيف من حدة هذه الظواهر.

٤- دراسة وتحليل مجال نشاط كل وظيفة وكل عامل بالاقسام والادارات المختلفة للتأكد من أن كلا منهم في مكان عمله ومجال اختصاصه ولديه المعلومات والارشادات والتعليمات الضرورية لاداء العمل. فقد تكشف الدراسة عن نقص في الارشاد او تخلف في وضع التعليمات او ايصالها الى المرؤوسين او وجود التناقض وعدم التنسيق.

٥- تدريب الموظفين على الاعمال التنفيذية وتنميتهم واعدادهم لوظائف ذات مسؤوليات اكبر وذلك تحسباً واعداداً لاحلالهم محل الوظائف الاعلى عند شغولهم لسبب او لآخر.

٦- تدريب الموظفين في المستويات الاشرافية العليا والمتوسطة لتحسين قدراتهم ومهاراتهم في تدريب مرؤوسيهم وترسيخ العلاقات الحسنة بينهم وبين هؤلاء المشرفين انفسهم في الادارات المختلفة.

٧- التخطيط السليم لبرامج التدريب وفقاً للاحتياجات التدريبية واختيار الاساليب والوسائل الكفيلة بتنمية القدرات والمهارات وزيادة المعارف في اقل وقت ممكن وبفعالية اكبر، ومتابعة تنفيذ هذه البرامج وتقييمها باستمرار لمعالجة الانحرافات والتأكد من تحقيق الاهداف.

٨- دراسة وتحليل قدرات العاملين الفنية والعلمية والعملية والسلوكية للتأكد من كفاية هذه القدرات لتحقيق مستويات الاداء المطلوبة وهذا يعني توفر وصف لكل وظيفة ومواصفات شاغلها، وعلى ضوء ذلك تتحدد البرامج اللازمة لتنمية المهارات وزيادة المعارف والمعلومات لتحسين مستوى الكفاءة المطلوبة.

كيفية تحديد الاحتياجات التدريبية

ونعني بذلك مجموع التغييرات والتحسينات المطلوب احداثها في المعارف والمعلومات واتجاهات العاملين في المنشأة بهدف التغلب على المشاكل والعقبات التي تعترض تحقيق اهداف المنشأة. وقد دلت التجارب والدراسات الخاصة بالمنشآت بأن الحاجة الى التدريب مستمرة لا تشمل العاملين الجدد فقط بل القدامى منهم نظراً للتطور المتسارع والمتعدد الابعاد في المجالات الفنية والعملية في قطاع الانتاج والخدمات.

وهناك عدة مؤشرات يمكن الاستدلال بواسطتها على مدى الحاجة للتدريب داخل المنشآت العامة والخاصة ومنها ارتفاع معدل دوران العمل وشكاوي الجمهور وتدني الانتاجية وزيادة التذمر بين العاملين وتفاقم المشكلات والخلافات وتدني العلاقات بين المستويات الاشرافية المختلفة الخ...

وتعتمد ادارة شؤون الافراد في المنشأة ووحدة التدريب التابعة لها على عدة مصادر لتحديد الاحتياجات التدريبية ومنها:

١- بيانات تحليل الوظائف التي تحصل عليها ادارة التدريب حتى يمكن تحديد المستوى الذي يتعين رفع المتدرب اليه ليقوم بعمله ويؤديه على أحسن وجه.

٢- اراء المشرفين والرؤساء.

٣- تقارير الافراد السنوية او الدورية ومعدلات الاداء.

٤- أراء المتدربين انفسهم.

٥- التقدم العلمي والتكنولوجي الذي تحرزه المنشأة.

وفي ضوء الاحتياجات التي تقررها ادارة التدريب يجري التخطيط لبرامج التدريب المطلوبة ومستواها وطبيعة الوظائف الموجهة اليها ومؤهلات المتدربين وتوزيعاتهم والقطاعات التي تحتاج الى تدريب العاملين بها كقطاعات التمويل والتسويق او الانتاج او الافراد وكذلك تحديد الجهات والخبرات والقدرات المطلوب تنميتها او تطويرها او صقلها.

أساليب التدريب

تتعدد طرق التدريب ووسائله بتعدد الفرص او الهدف منه واعتماداً على مستوى المتدربين ومؤهلاتهم والحاجات المراد تلبيتها لهم واختلاف طبيعة اعمالهم ومستوياتهم الوظيفية ومادة التدريب وموضوعاتها. ويعتمد اختيار الاسلوب التدريبي على المدرب ذاته بالتنسيق مع ادارة التدريب، حيث ان الاسلوب التدريبي هو الذي يحدد درجة النجاح او الفشل للبرنامج التدريبي. ويمكن للمنشأة اختيار طريقة التدريب او اسلوبه اختياراً يحقق الغرض منه اتباع خطوتين:

١) تحديد الفاعلية او الكفاءة النسبية للطرق المختلفة للتدريب.

٢) التعرف على المباديء التعليمية التي يتضمنها كل نوع من انواع التدريب والاساليب الفنية والعلمية التي يتطلب الامر استخدامها. وتستعين المنشأة بأبحاث متطورة في المجال التدريبي للتوصل الى اجابة مثمرة في هذا المجال.

وتتمثل اهم طرق التدريب فيما يلي:

١- المحاضرات.

٢- التدريب التطبيقي.

٣- اسلوب النقاش المخطط.

٤- اسلوب فرق العمل (المجموعات).

٥- العصف الذهني (وهو طريقة لاتاحة الفرصة لكل متدرب لاخراج فكرة او اكثر حول المشكلة المطروحة بعد عرضها على المجموعة ككل ثم يجري استبعاد بعض الافكار والتركيز على بعضها الاخر مع الاهتمام بمشاركة المجموعة في تصنيف هذه الافكار).

٦- اسلوب دراسة الحالات، وهو اقرب الى الاسلوب التطبيقي ويعني مناقشة جماعة لحالة دراسية لموقف ما او مشكلة سابقة الوقوع حيث يعمل المتدربون كفريق لاختيار الحل المناسب.

٧- اسلوب تمثيل الادوار:

حيث يقوم المتدربون بتقمص ادوار اشخاص وردوا في حالة مكتوبة كالمرؤوسين او الرؤساء ويدور النقاش بين اصحاب الادوار امام ملاحظة ومراقبة المتدربين انفسهم، ويجري تقييم نقاط الضعف او القوة في كل دور وذلك للتوصل الى حل مناسب للمشكلة ويتيح هذا الاسلوب لكل فرد اشترك في تمثيل الادوار في تقدير موقف مختلف عن ظروفه الواقعية.

٨- التدريب التجريبي:

وهو اسلوب حديث في التدريب يبنى على الخبرات العملية للمتدربين ويقوم المدرب بدور المنسق والموجه والمشارك ويحاول ان يرشد المتدربين الى الحلول التي يستنبطونها هم بدلاً من اقتراح الحلول بنفسه.

٩- المؤتمرات.

١٠- التدريب بهدف التغيير في السلوك او الاتجاهات الذاتية ويركز هذا الاسلوب على الجوانب السلوكية والنفسية للمتدربين ويدخل فيه وسائل التحليل النفسي حيث يجب ان تتوفر لدى المتدرب معرفة لمعوقات السلوك البشري ودوافعه ومسبباته.

١١- التدريب عن طريق المباريات الادارية:

وهو اسلوب متطور يتم فيه عرض حالة تشترك فيها اطراف يمثلون الواقع كما هو ويحاولوا ان يصلوا الى نتائج كمية في غالب الحالات، وتدخل في هذا الاسلوب برامج الحاسب الالي والاحصاءات ووسائل المعلومات المتطورة.

أنواع التدريب

هناك عدة انواع من التدريب تستخدم في المؤسسات العامة او الخاصة يمكن حصرها في اثنتين رئيسيتين:

١- التدريب قبل الخدمة:

ويقصد به تدريب الافراد قبل التحاقهم بالعمل من اجل تزويدهم بالمعارف والمهارات والقدرات التي من شأنها ان تساعدهم وتؤهلهم للقيام بالعمل على احسن وجه وأكفأه. وتقوم بهذا النوع من التدريب الجامعات والكليات والمعاهد وبعض المراكز المتخصصة التي تعد المتدربين في مجالات متخصصة قبل التحاقهم بالمنشآت. ويتضمن هذا النوع برامج التدريب التعريفية اذ يزود الموظف بمعلومات حول القوانين والانظمة والتعليمات والواجبات والشروط العامة للخدمة. كما يزود بمعرف حول كل ما يتعلق بوظيفته من أجر ومنافع وسياسات ترقية وحوافز وتقييم للاداء ونظام الشكاوي الخ...

٢- التدريب اثناء الخدمة:

لا يقتصر تدريب الموظفين على تزويد معارفهم ومهاراتهم قبل الالتحاق بالعمل بل هو عملية مستمرة يحتاجها الموظفون على رأس عملهم أكثر من الموظفين الجدد وذلك بسبب ما تواجه الموظف من عقبات ومشكلات وبسبب حاجته لتطوير مهاراته باستمرار امام التقدم المتسارع والتطورات المعرفية المتزايدة والحاجة لمهارات التفاعل مع زملائه ورؤسائه والجمهور بشكل عام. ويمكن ان يتم هذا التدريب داخل المنشأة او

خارجها. ويتدرج تحت هذا النوع من التدريب نوعان:

أ- التدريب أثناء العمل

حيث يتلقى المتدربون التوجيهات والارشادات والتعليمات اللازمة لهم للقيام بوظائفهم وتنفيذ مهامهتم من قبل رؤسائهم او ادارة التدريب او متدربين متخصصين لهذا الغرض.

ب- التدريب خارج العمل

وفيه ينقطع المتدرب عن عمله لفترة محددة يلتحق اثناءها بأحد مراكز التدريب المتخصصة داخل القطر او خارجه ويشارك في برامج عامة او خاصة تتفق وطبيعة وظيفته واختصاصه.

حفز الموارد البشرية

تفعيل الموارد البشرية مرتبط بنظام حفز الموارد البشرية. والهدف من هذا النظام يتمثل في ترغيب الفرد بالعمل والاستمرار فيه والولاء له بغرض خلق منظمة اجتماعية يسود فيها التعاون المشترك والولاء الجماعي والرغبة الصادقة في تحقيق الاهداف. وهذا يعني سد حاجات العاملين وتحقيق رغباتهم بالاسلوب الذي يحرك قدراتهم الفنية والعلمية والسلوكية ووضعها في خدمة هذه الاهداف.

وتقوم خطط الحوافز على الافتراض ان الافراد سيعملون بجهود أكبر ويزيدون انتاجهم اذا حصلوا على أجر أكبر سواء كانوا عمالاً غير مهرة ام مديرين يحصلون على مرتبات عالية، ومع ذلك وبالرغم من أهمية العامل المادي إلا أن ارتفاع مستويات المعيشة جعل اغراء المرتبات العالية يبدأ في الانخفاض مما يلقي بعض الشك على قيمة نظم الحوافز المادية.

ويرتبط نظام الحوافز ارتباطاً وثيقاً بدوافع الافراد وحاجاتهم، فنحن نعلم أن الدافع يمثل قوى داخلية تقع في داخل الشخص نفسه وتنبع من مجموع التراكمات المعرفية او الادارية من جهة ومن مجموع التراكمات اللاشعورية من جهة أخرى، وتنبع وظيفتها من انها القوة الحقيقية التي تقف وراء السلوك ولما كانت الدوافع تتحكم في السلوك فان معرفة ذلك يؤدي الى وضع نظام متطور للحوافز يسعى الى توجيه هذا السلوك او تعزيزه او ضبطه والتحكم فيه.

أنواع الحوافز

ليست المشكلة في اختيار نوع الحافز المناسب ولكنها تتركز في كيفية تحقيق التوازن بين ما يحتاج اليه العاملون في وقت معين وبين ما يحصلون عليه فعلاً، وكذلك بين ما يحتاجون اليه فعلاً وبين ما يتطلعون اليه. إذ قد لا يستطيع العاملون الحصول دائماً على كل ما يحتاجون اليه في الوقت الذي يحتاجون فيه اليه، ولذا ينبغي ان يعودوا أنفسهم أن يجدوا الاشباع فيما يتاح لهم في حياتهم اليومية. وعلى الادارة في كافة المستويات أن تُشعر العاملين في الوقت ذاته انها تبذل الجهد لاشباع هذه الحاجات وبأنها تعترف باحتياجاتهم وتقرها وبالتالي يصبح الامر بالنسبة للعاملين احد مطلبين:

١- اما الحصول على المزيد من الاشباع للحاجات.

٢- واما تجنب تناقص اشباع هذه الحاجات.

ويمكن تقسيم الحوافز الى انواع منها:

أولا: الحوافز الايجابية:

١- الحافز المالي: ويضمن الاجر، الترقية، المكافآت عن طريق العلاوات العادية والاستثنائية والمكافآت بنوعيها الفردية والجمعية ثم حافز الاشتراك في عوائد الانتاج.

٢- الحافز الاجتماعي: وهي تلك التي تهدف الى رفع الروح المعنوية للعامل وتهيئة ظروف عمل مستقرة ومناسبة يتجه بكل ذهنه وتفكيره نحو العمل الذي يقوم به. وتساعد هذه الحوافز على اطمئنان الفرد على حافزه ومستقبله وتشعره بأنه انسان له تقديره كعضو في جماعة عامة وتتمثل هذه الحوافز في الخدمات الطبية وصناديق الزمالة او توفير دور الحضانة لابناء العاملين.

٣- الحافز المعنوي: ويختلف عن سابقه في أن أثره قد يكون مباشراً او غير مباشر ويظهر أثره في الاستعداد الوجداني الذي يُهيء للعامل الاقبال بحماس على تخصيص وقته وجهده لخدمة الجهة التي يعمل بها والولاء لها.

ومن أهم هذه الحوافز

١- أشباع حاجات العاملين (الاساسية والامن والاجتماعية والتقدير والخ...)

٢- القدرة على إشعار العاملين بوجود احترام ذاتهم وتتمثل بالمشاورات الدائمة مع العاملين من خلال اللجان والمشاركة والسماع الى الشكاوي والمقترحات وايجاد الحلول العاجلة والناجحة والعادلة لهم.

ثانياً: الحوافز السلبية:

وتتمثل في مجموعة من العقوبات التي يتعرض لها الفرد نتيجة عدم قيامه بالعمل المكلف به في الوقت المحدد او بمستوى الجودة المطلوبة.

ويختلف نوع العقوبة باختلاف جسامة المخالفة. وتحقق الحوافز السلبية الاغراض التالية:

١- التنبيه الى ضرورة قيام كل عامل بالتزاماته المكلف بها.

٢- عدم الاستمرار في الخطأ.

٣- التحفيز الى تحسين مستوى الاداء لازالة

الادارات العليا في المنظمات.

تركز هذه المحاضرة على تنمية الموارد البشرية كموضوع مهم في مجتمعنا ومجتمعات اخرى. وتستعرض اهم المقومات والاساليب المتبعة في تطوير وتفعيل العنصر البشري في المجتمع وفي مؤسساته. ومما يجدر ذكره ان هذه المحاضرة تركز على ما يجب ان يكون للاهتمام وتنمية الموارد البشرية وليس ما هو كائن وموجود. حيث وصف حاضر المجتمع وتعامله مع موضوع المحاضرة يحتاج الى دراسة خاصة وفحص ميداني للالمام بالموضوع. لذا نكتفي هنا بعرض الموضوع والتوعية له والدعوة الى الاهتمام الجدي به.

تنمية الموارد البشرية وتطويرها:

تعتبر عملية تنمية الموارد البشرية من اهم العمليات التي تناط بادارة شؤون الافراد في المؤسسات العامة والخاصة. ومهما كانت الصعوبة التي تواجهها المؤسسة في استقطاب الطاقات البشرية الكفؤة والمؤهلة فان التحدي الاكبر الذي يواجه هذه المؤسسات هو القدرة على الاحتفاظ بهذه الطاقة لاكبر فترة ممكنة. وهذا يملي على ادارة المنظمات وادارة الافراد فيها مهمة البحث عن الوسائل والاساليب التي تكفل تنمية هذه الطاقات وتطويرها.

ويمكن تعريف عملية تنمية الموارد البشرية بأنها سلسلة من العمليات التعليمية والتثقيفية والتطويرية. وتشير العملية التعليمية الى تزويد الفرد بمعلومات او مهارات او معارف ضرورية او حتمية او لازمة لاداء عمل او اعمال محدودة او معروفة. وقد تشمل هذه العملية معلومات لا ترتبط بالعمل او الاعمال المحدودة ارتباطاً غير مباشر، ومن هنا تصبح العملية التعليمية تمهيداً لعملية التثقيف وابعادها.

وتشير عملية التثقيف الى الاطلاع الذاتي على ما يجري في نطاق المشاكل والمعوقات والمواقف الراهنة والسبل والوسائل التي تستخدم في حل المشاكل او المعوقات. وتزود هذه العملية الفرد بالمعلومات والمعارف التي يجري تداولها في الوقت الحاضر ومواقع الغير منها واراؤهم واتجاهاتهم. وتنطلق عملية التثقيف من اساسيات التعليم ودائرته الى دائرة اوسع نطاقا واعمق اثراً في مجالات سعة الافق والتزود بالمعارف والتوجهات. ويمكن النظر الى تنمية الموارد البشرية كعملية مستمرة يجب تنفيذها بصورة منتظمة ودورية باسلوب علمي محدد بحيث يغطي فترة عمل الافراد من وقت التحاقهم بالعمل حتى وقت تركهم العمل لسبب او لاخر. وسنتناول فيما يلي احد اهم وسائل التنمية البشرية وهي عملية التدريب.

التدريب

تلجأ المؤسسات العامة والخاصة الى التدريب كأحد الاسس لتنمية الموارد البشرية. وليس التدريب هدفاً في حد ذاته ولكنه وسيلة لتحقيق هدف او اهداف محدودة. وتتمثل اهداف التدريب فيما يلي:

١- تحقيق الاهداف التي تسعى اليها المنشآت بشكل خاص وتحقيق اهداف المجتمع بشكل عام.

٢- تزويد المتدربين بالمعارف والمهارات والخبرات والاساليب المتطورة التي تساعدهم على تطوير اداء عملهم وتحسين ورفع كفايتهم الادارية والتنفيذية ورفع مستوى انتاجيتهم.

٣- مساعدة المنظمة على تلبية احتياجاتها من الطاقة البشرية من خلال رفع كفاءة الاعداد والتخطيط لهذه الطاقة.

٤- تطويع العاملين وحثهم وتحريك دوافعهم نحو بذل كل طاقة يملكونها واعطاء كل ما يستطيعون للمنظمة في سبيل تحقيق اهدافها.

٥- مساعدة المتدربين على تحقيق طموحاتهم وتلبية رغباتهم في النمو الذاتي والتطوير والتقدم واشباع حاجات الارتقاء لذاتهم الامر الذي يؤدي الى رفع روحهم المعنوية وزيادة رضاهم عما يدور حولهم وعن مؤسستهم بشكل عام.

٦- احداث تغيير في سلوك الفرد من خلال تفاعله مع البيئة التي يعيش فيها، والمنظمة التي يعمل معها وبالتالي تعليمه على مواجهة المشاكل والازمات التي تواجهه في العمل وايجاد الحلول المناسبة لها.

٧- مواجهة التحديات الخارجية للمؤسسة (الصناعية او الانتاجية او الحكومية) والمتمثلة في التقدم التكنولوجي والتطور المتسارع والتغيير في مجالات الانتاج والتوزيع والاستهلاك.

٨- المساعدة على اعادة توزيع القوى العاملة في المنشأة او في احد ادارتها او اقسامها عن طريق وضع الموظف المناسب في المكان المناسب. وهذا يعني الإستخدام الامثل للموارد البشرية في المؤسسة.

٩- المساعدة على استقطاب الموارد البشرية والاحتفاظ بها الى اطول فترة ممكنة من خلال التخطيط المهني Career Planning والتي يشكل التدريب احد مركباتها الاساسية.

١٠- المساعدة في معالجة مشاكل العمل مثل حالات التغيب او الانقطاع عن العمل وتقليل دوران العمل والمساعدة على تجنب التعرض للامراض المهنية او الاخطاء من خلال اتباع ارشادات او تعليمات او التدريب على استخدام الالات إستخداماً يجنب العاملين حوادث العمل واخطار الالة.

أثار العقوبة من جهة والتمتع بالحوافز الايجابية من جهة أخرى.

٤- تنبيه الموظف الى عدم الوقوع في الخطأ حتى لا يتعرض للعقاب والاتجاه السائد الان يعتمد اساساً على الحوافز الايجابية لرفع الروح المعنوية حيث انها اعمق اثراً الى التقدم المستمر من العقوبات (الحوافز السلبية) التي تكون مبنية على الخوف من العقوبة الذي يلازم العاملين مما قد يؤدي الى تكرار الخطأ. أما الحوافز الايجابية فتؤدي الى الشعور بالطمأنينة والامان لدى العاملين.

مرتبط بذلك نظام الامن والامان للموارد البشرية، حيث تسعى المؤسسات الى توفير جو من الامان والاطمئنان للعاملين فيها كجزء من الحوافز المقدمة لهم والتي تهدف الى الاحتفاظ بهم وتنمية ارتباطهم بالمنشأة وكسب ولائهم نحوها. ويضم نظام الامن المشار اليه ثلاث عمليات هي:

١- الامن الصناعي.

٢- الخدمات الاجتماعية.

٣- التأمين الاجتماعي.

ونعني بالامن الصناعي تطبيق مبدأ الوقاية للموارد البشرية والتي تعتبر الثروة الحقيقية في مجالات الانتاج والخدمات. ونظام الوقاية بالامن الصناعي يكفل الحفاظ على الطاقة البشرية وصيانتها ومنحها القوة للاستمرار في دفع عجلة النمو والتطوير والرخاء. اما نظام الخدمات الاجتماعية فيقع ضمن نظام توفير الامان للعاملين في مجالات التغذية والتعليم والثقافة والخدمات الاقتصادية والقانونية والترفيهية والانتقال والاسكان. وقد تطورت وسائل الخدمات الاجتماعية في المنشآت الحديثة واصبحت توفر في صور شتى كتوفير الطعام في أماكن العمل، وتوفير وسائل الترفيه الوسائل الرياضية والاستشارات الفنية والقانونية والنفسية للافراد وأسرهم ويقع ضمن نظام الامان ايضاً نظام التأمينات الاجتماعية تقدمها المنشأة بالتعاون مع الدولة احياناً وتهدف الى تأمين الموارد البشرية على يومها وغدها ضد ما يسبب لها فقد القدرة على الكسب. وتتمثل انواع التأمينات الاجتماعية في:

١- تأمين اصابات العمل وامراض المهنة.

٢- التأمين ضد الشيخوخة والعجز والوفاة وهي المخاطر الطبيعية.

٣- التأمين الصحي ويوفر للعامل الوسائل العلاجية والجراحية والدوائية والتأهيلية في حالات المرض.

٤- التأمين ضد البطالة (المخاطر الاقتصادية) الذي يوفر تعويضاً مؤقتاً للعامل اذا كان راغباً وقادراً ومستعداً لكنه لا يجد عملاً.

السؤال الذي يهمنا هو ما هي مكانة العنصر البشري المهني الفلسطيني في المجتمع، ما هي حاجاته وظروفه المهنية. وماذا يمكن عمله لرفع مستواه المهني؟ واضح أن هذه المحاضرة كانت عن تنمية المورد البشري بشكل عام وليس عن وضع المهنيين في المجتمع. ذلك يحتاج الى دراسة وفحص ميداني للاطلاع على ميزات العنصر البشري المهني واهم الاساليب التي يجب اتباعها لتطويره، تنميته وتفعيله بشكل أفضل مما هو اليوم. ولكن ما يجدر ذكره بما يخص المجتمع الفلسطيني هو:

أولاً: أن هناك نقصاً في المهنيين ومجالات التخصص ويجب تحديدها.

ثانياً: إنه لا توجد سياسات واضحة ومتبعة لتنمية العنصر البشري خصوصاً المهني منه في المجتمع الفلسطيني.

ثالثاً: إن مؤسساتنا الخاصة منها والعامة لا يوجد لديها برامج ثابتة للاهتمام بالموضوع.

رابعاً: إن الكثيرين من المهنيين لا يعملون في مجال تخصصهم بما في ذلك من ابعاد.

خامساً: إنه يوجد نقص في الدراسات والفحوص الميدانية للاطلاع على ما هية العنصر المهني وحاجاته المختلفة .

سادساً: إن في المجتمع الفلسطيني خامات وعناصر مهنية بشرية وطاقات غير مستغلة ويجب أن نحسن إستغلالها.

سابعاً: من المهم أن تأخذ المؤسسات والمعاهد التعليمية العليا الموضوع بشكل جدي وأن تبدأ بالتخطيط لسد النواقص وإشباع الحاجات المهنية.

إن المجتمع الفلسطيني وهو على عتبة حقبة جديدة من التحرر والاستقلال وإقامة الكيان المستقل يحتاج إلى الاعتماد على ذاته. وغني عن القول إن أهم موارد في هذا المجتمع هو العنصر البشري.

مراجع: إعتمدت المحاضرة على المراجع التالية:

١- فيصل فخري مراد، الادارة، عمان، دار مجدلاوي، ١٩٨٣.

٢- سيد أبو بكر حسنين، طريقة الخدمة الاجتماعية وتنظيم المجتمع، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٥.

٣- أمين حاج يحيى، العمل الاجتماعي في ظل الانتفاضة، القدس، ١٩٨٧.

القيت هذه المحاضرة في يوم دراسي نظمه مركز الارشاد الفلسطيني في القدس

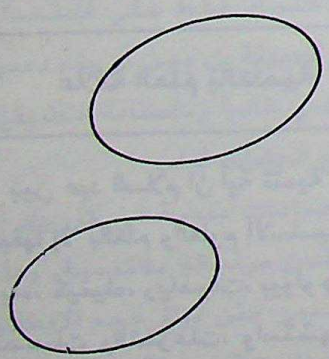

البعد العلمي للتنمية *

صافي صافي

تأليف الاستاذ محمد عبد السلام - حاز على جائزة نوبل في الفيزياء ١٩٧٩ -اكاديمية العالم الثالث للعلوم تريستا- ايطاليا ١٩٨٦

ترجمة د. محمد حسين صفوري

خلاصة المقالة:

تناول الاستاذ عبد السلام في هذا الكتيب البعد العلمي للتنمية في العالم الثالث والاسلامي منه بالذات، وأكد في البداية على العلاقة الوثيقة بين تقدم العلوم والعلماء والتنمية بشكل عام، واستخدم عدد العلماء الفيزيائيين ونشاطيتهم بشكل خاص كمقياس للتنمية، وعلى حد رأيه فانه بدون القوى البشرية ذات المهارات العالية والحوافز المرتفعة فانه لن يكون بالامكان التوصل إلى تنمية ثابتة(ص ١٧). وحاول عبد السلام وضع يده على مظاهر التخلف في البلدان الاسلامية، وبيّن أسباب تراجع التنمية بعد مرور أكثر من قرن بقليل على اقامة الدولة الاسلامية، ولقد وضع شروطاً لانجاز التنمية المرجوة، ولقد حاول طيلة مقالته هذه الاعتماد على الدين الاسلامي ليثبت ان الاسلام يشجع بشدة هذا النوع من النشاط العلمي إلا أن الدول الاسلامية هي الآن من اكثر الدول تخلفاً، وحاول أيضاً الفصل بين مسألة الايمان وقضايا البحث العلمي، وأن العلم والايمان يمكنهما أن يتعايشا على الأقل في وضع وئام بحيث يكون أحدهما مكملاً للآخر.

ولقد تناول عبد السلام بعث الأمل بالانجاز الذي يمكن تحقيقه على هذا الصعيد، فاليونان انتقلت من الدول المتخلفة إلى متقدمة خلال عقود بسيطة بسبب مجهودها العلمي، واليابان أيضاً، وبين أن من الضرورة اللحاق ببعض الدول (الصين) كمرحلة أولى والانتقال التدريجي لما بعدها إذا كان هناك تخطيط واضح وعمل جدي لذلك.

علاقة العلم بالتنمية

بين عبد السلام ان أية تنمية لا يمكن تحقيقها إلا بالعلم والعلوم الاساسية بالذات (فيزياء، كيمياء، رياضيات، بيولوجيا) لكل التخصصات والتفرعات، واستشهد بعدة أمثلة، ففي اليابان والصين يعلمون العلوم الأساسية حتى لتخصصات الموسيقى والرياضة البدنية والخياطة(ص٧٤). وقارن بين اليابان الاقطاعية (حكم عائلة التوكو كاوا) التي قررت إغلاق اليابان أمام جميع البلدان الاوروبية تقريباً، ويابان ١٨٦٨ (حكم الامبراطور مايجي)الذي وضع اسساً جديدة للحكم (ص٢٠)، واستشهد بما قاله الفيزيائي الياباني هنتارو ناجاوكا: "يتوجب علينا أن نعمل بكل ما أوتينا من نشاط وبعيون متفتحة وبحس مرهف وبفهم متيقظ دون ما كلل ودون أن نتوقف ولو للحظة واحدة، فليس هناك من سبب يدعو إلى أن يستمر الاوروبيون في التفوق الكامل في كل أمر، وكما اعتدّت أن تردد لنا دوماً فاننا لسوف نتفوق على هؤلاء القوم المتعالين ونبزّهم في العلم في السنوات العشر أو العشرين القادمة على أبعد تقدير"(ص٢١)، وبالفعل فان اليابان تحتل اليوم المرتبة الثانية حسب دليل التنمية البشرية لعام ١٩٩٢م.

أما المثال الثاني فهو اليونان والتي كانت تدرج في تعداد الدول النامية، أما اليوم فانها تعتبر من بين الدول المتقدمة (المرتبة ٢٦ حسب دليل التنمية البشرية لعام ٩٢) بفضل طموحها وتصميمها على الانضمام إلى ركب العلوم المتقدمة وبسبب النضج الذي بلغه علم الفيزياء في اليونان وبالتحولات الايجابية التي تطرأ عليه سنة بعد سنة (ص٢٨).

وبيّن عبد السلام ضرورة ارتباط العلوم الاساسية بالعلوم التطبيقية في كل بلد حتى تساهم بالفعل في التنمية، واعتمد نيل جوائز نوبل في الفيزياء مقياساً، فالعالم نيشينا والذي أدخل الفيزياء المتقدمة وعلى يديه حاز اثنان من العلماء

على جائزة نوبل في الفيزياء هما يوكاوا وتو مناجا، اصله مهندس كهربائي، ويوجين فيجنر والذي أدخل نظرية المجاميع في الفيزياء الحديثة أصله مهندس كيماوي.(ص٢٦).

مظاهر التخلف في العالم الاسلامي

ليس من السهل الفصل بين مظاهر التخلف واسبابه فالاختلاط كبير واستمرار هذا التخلف لهذه العقود التسعة قد زاد من الامر تعقيداً، فمن مظاهر التخلف.

١- إننا نهمل في بلادنا دور العلم في التنمية ودليلها عدم وجود جماعات علمية مرتبطة بالتنمية، وعدم العمل على إيجاد مثل هذه الجماعات بسبب انتقاصنا الشديد إلى الطموح لامتلاك العلم، ويتملكنا شعور بالنقص نحو العلم يصل أحياناً إلى حد العداء له(ص٢٠).

٢- ما يزال العلم في دول العالم الثالث نشاطاً هامشياً لاسباب داخلية او خارجية رغم الادراك ان العمل والتكنولوجيا هما الأمل الرئيسي في التقدم الاقتصادي(ص١٢).

أ- جميع صانعي السياسة والهيئات التي تتكفل بتقديم العون إلى بلدان العالم الثالث يتحدثون عن مشكلة نقل التكنولوجيا و"العلم المناسب" دون تركيز على العلوم.

ب- قليلة هي البلدان التي تركز على اقتران نقل التكنولوجيا بنقل العلم وأن علم اليوم هو تكنولوجيا الغد، وأنه من أجل فعالية التطبيق يجب أن تكون قاعدة العلم عريضة وواسعة.(٢٢)

٣- عدم توفر العلماء في حقول العلم الاساسية، ذلك أن التطبيق بحاجة ماسة دوماً إلى إرشاد ونصح زملائه ممن يمارسون العلوم الاساسية.(ص٢٥).

٤- إن عدد العاملين في حقل الفيزياء في البلدان الاسلامية هو ١٠/١ مما يجب أن يكون عليه قياساً بالمعيار الدولي وإن انتاج هؤلاء من الابحاث هو ١٠٠/١ مما يجب ان يكون عليه. ففي الباكستان (٨٠ مليون نسمة) ١٣ استاذ فيزياء + ٤٢ من حاملي الدكتوراة والباحثين، أما في كلية امبريال (جامعة لندن) ١٢ استاذ فيزياء + ١٠٠ باحث، وفي اسرائيل كان عدد الكوادر لشؤون البحث والتطوير سنة ١٩٧٤ ٣٤٨٠٠، ومخطط أن يبلغ العدد سنة ١٩٩٥ ٨٦٧٠٠ كادر بينما يبلغ العدد في كل الدول الاسلامية ٤٥٠٠٠ كادر.

٥- ليس هناك داخل حدودنا معاهد دولية للبحث العلمي سواء كانت من تأسيسنا أو مما وقع اختيار مكانها علينا، وقليلة هي المؤتمرات التي تنعقد عندنا، وقليلون هم العلماء الذين يقيمون ويعملون في اوطانهم يحظون بحضور مؤتمرات علمية في الخارج.(ص٦٩).

أسباب تراجع التنمية في البلدان العربية والاسلامية

يُرجع عبد السلام بدء مرحلة اندثار العلم في ديار الاسلام إلى ١١٠٠م بسبب:

١- الأسباب الخارجية (وهي الأقل أهمية)، الدمار الذي أحدثه غزو المغول (ص٤٠)، الحروب التي دارت في المنطقة لاسباب خارجية وداخلية، باختصار ليس هناك وقت للعلم.(ص٦٣).

٢- الأسباب الداخلية: ١- عزلة المجهود العلمي المحلي عن المجهود العالمي وعدم مواكبة نشاط معادل في البحث العلمي.(ص١٨).

٢- ضعف روح التجديد والابداع لدينا وانصرافنا إلى التقليد.

٣- المشاحنات الطائفية العنيفة لاسباب سياسية وانصرافنا عن العلوم الخلاقة إلى الصوفية والاهتمامات غير الواقعية وسيادة روح التزمت الشديد وعدم القبول لأي نفحة تجديد في أي حقل من حقول المعرفة ومنها العلوم. (ص٤٠).

٣- إن عدم تفهم الدور الحقيقي الذي يمكن لأهل العلم أن يقوموا به في عملية التنمية إنما يعود إلى المخططين والاقتصاديين لا إلى المهندسين.(ص٢٨)

٤- هجرة العلماء الجيدين إلى حيث يمكنهم النجاح ومتابعة أبحاثهم والحياة الجيدة.(ص٢٨) فهناك ٣٠٠٠٠ عالم يعملون في الدول الاوروبية وامريكا.(ص٦٧).

٥- طبيعة الانظمة الحالية تتسم بهيكلة تجارية تقنية مستوردة باكملها، وتسود معظم هذه الدول أنظمة اقتصادية وعلمية تعتمد على التقليد وليس على الاصالة والابتكار، وان التخطيط العلمي يرتبط بالسياسة مباشرة.(ص٦٣).

٦- إن بزوغ فجر الروح العلمية في الدول الاسلامية قد خبى دون أن يقود إلى تحول دائم في مسار الاستقراء العلمي.(ص٣٩).

شروط التنمية

يؤكد عبد السلام أن التنمية ضرورية وممكنة إذا توفرت الشروط التالية:

١- عدم الاعتماد فقط على استخدام التكنولوجيا الحديثة بل يجب أن يتم دعمها بالبحث العلمي خاصة وبالصناعة التطبيقية المنسجمة مع اتجاهات العلم.

٢- ايجاد جماعات علمية في كل بلد أو مجموعة بلدان مرتبطة بالتنمية، وهذه الجماعات تُنمى حتى تبلغ حجم الانطلاق من حيث عددها وعدّتها، مرتكزاتها:

أ- التزام بعيد المدى بسياسة بناء العلم.

ب- رعاية سخية من قبل الدولة للعلم والعلماء.

ج- أن تتمتع الجماعات العلمية بالحكم الذاتي في أمورها المهنية.

د- حرية الاتصال الكاملة مع المجتمع العلمي الدولي.

هـ- فسح المجال امام العلماء ذوي الكفاءة العالية كي يساهموا في بناء المجتمع بنفس القدر الذي يساهم فيه كل من المخططين والاقتصاديين والتقنيين.(ص٢٣).

٣- استكمال البناء العلمي التحتي: محو الأمية، تعليم العلوم على جميع المستويات، توفر اساتذة ذوي كفاءة ومتحمسين ومبدعين، توفر مختبرات جيدة التجهيز، توفر مكتبات تحوي أحدث الكتب والمجلات العلمية.(ص٢٤).

٤- القيام بالابحاث التطبيقية لمعالجة مشاكل البلدان التي يعيشون فيها مثل المشكلات الزراعية ومكافحة آفاته وأمراضه المحلية، وتطوير المواد الأولية ضمن المؤسسات الوطنية (المصانع).

٥- الالتفاف حول مركز دولي للفيزياء (تريستا مثلاً) والمشاركة في الابحاث والاتصال بالعالم.(ص ١٩).

ملاحظات

من السهل الاتفاق مع وجهة نظر الاستاذ عبد السلام والأخذ بها إلا انه لا بد من سرد الملاحظات التالية:

١- اعتمد على الفيزياء كمقياس للتنمية وليس واضحاً صدق هذا المقياس وتوافقه مع المقاييس العالمية.

٢- ينظر إلى الدول الاسلامية من خلال علاقتها بمركز الدراسات في تريستا (ايطاليا)، إذ أنه من الصعب الحكم على كل البلاد الاسلامية بنفس المقياس خاصة وأن العديد من دول الشرق مثلاً تقيم علاقة مع امريكا ومؤسساتها اكثر من اوروبا.

٣- إنطلق في النظر إلى بعض الدول الاسلامية (تركيا مثلاً) من خلال لقاءات مع علماء هناك دون دعم وجهة النظر هذه بالاحصاءات.

٤- اقترح ان نضع نصب أعيننا اللحاق بالصين، ولكن حسب تقرير التنمية لعام ٩٢ فان مرتبتها ٧٩، وهناك دول عربية تسبقها وتتفوق عليها وإن لم يكن ذلك في مجال العلوم.

٥- هناك محاولة خجولة للفصل بين العلم والدين، فهو يدعو للفصل بينها وفي نفس الوقت يقول بأن العلم لم يتناقض أبداً مع القرآن.

٦- من الصعب الاتفاق معه على الزامية تعلم العلوم الاساسية في كل المراحل دون أن يبين درجته وما هو ضروري لكل تخصص، والأمر عكسي أيضاً وذلك حتى يتمكن مجتمع بكامله من الابداع في كافة المجالات.

٧- إن توجيه التهمة بعدم تفهم الدور الحقيقي لأهل العلم إلى المخططين والاقتصاديين وإحلال أو مشاركة العلماء في هذه المهمة إنما هو مناقض لحوافز العلم التي تجري في امريكا مثلاً، وفي نفس الوقت فانه ينزع صفة العلماء عن هؤلاء، وكان الأجدر به ان يظل متمسكاً بالرأي الذي القى بالتهمة على التخطيط السياسي وطبيعة أنظمة الحكم.

قبعة وعصاه بـ ٨٣ ألف دولار

جرى في لندن يوم الجمعة (١٢/١٧) مزاد علني لبيع قبعة تشارلي شابلن وعصاه إلى شخص مجهول بـ (٥٥) ألف جنيه استرليني، أي ما يعادل ٨٣ ألف دولار أمريكي. وكان ألفريد ريغز، مدير استديوهات شابلن، احتفظ بالقبعة والعصا اللذين لم يفارقان «ملك» السينما الصامتة حتى مماته، ولم يتركهما إلا في العام ١٩٨٧ أي بعض مدي عشر سنوات على وفاة الممثل والمخرج الأمريكي البريطاني الأصل.

ومنذ ذلك الحين ظلت القبعة والعصافي حوزة رجل أعمال دانماركي ما لبث أن كلف مؤسسة «كريستيز» بعرضهما للبيع في المزاد العلني.

وكان شابلن الذي ولد في العام ١٨٨٩ اختار بنفسه القبعة والعصا مع شاربيه الصغيرين وحذائه الكبير وسراوله الفضفاض ليطبع بها شخصيته الكوميدية منذ بدايات ظهورها في أفلامه الأولى التي مثلها مع ماك سينيث انطلاقاً من العام ١٩١٤.

وجهة نظر نقدية في بعض مسائل الاقتصاد السياسي عند د. عادل سمارة

دراسة وتحليل

د. ماجد صبيح

الحلقة الثانية والاخيرة

ثالثاً: هل التنمية ممكنة في ظل الإحتلال

في أعقاب إندلاع الإنتفاضة في كانون الثاني ١٩٨٧، أصبحت موضوعة التنمية في الاراضي الفلسطينية الحتلة تحظى باهتمام بارز وأكبر من أي وقت مضى. وخلال العقد الماضي شهدت الاراضي المحتلة جدلاً فكرياً يتمحور حول مسألة "إمكانية التنمية تحت الإحتلال".

وبهذا الصدد برز إتجاهان رئيسان يقفان على طرفي نقيض في وجهتي نظريهما من هذه المسألة. الإتجاه الاول يرى بأنه "لا تنمية تحت الإحتلال". أما الإتجاه الثاني فأنه يرى بأن "التنمية غير مشروطة بالإستقلال".

وكما هو واضح ان الرأي الأول هو رأي عدمي! وهو يبالغ في الدور المعيق والمقيد والذي يلعبه العامل الموضوعي (الاحتلال) والى حد ينفي معه أية إمكانية للتنمية في الاراضي المحتلة، والتي يمكن أن تتحقق بجهود العامل الذاتي (الفلسطيني) ولا أخال أن هذا الرأي بحاجة إلى دليل أو برهان لإثبات عدم واقعيته. ولهذا أنتقل مباشرة لمناقشة وجهة النظر الثانية، أي التي ترى بأن "التنمية غير مشروطة بالاستقلال"؟

في المحاضرة التي ألقاها الباحث (عادل سمارة) بدعوة من مركز معاً التنموي يقول "ولعل الملاحظة التي اشار اليها سامي خضر قبل قليل أصبحت أمراً بديهياً لا سيما وأن معظم دول العالم مستقلة لكن لم يحدث فيها تنمية فالأساس في العملية التنموية إذا ما نجحت في ظل وجود سلطة مرتبط الى حد كبير بمدى إشراك الجماهير في هذه العملية عبر حريتهم الإنتاجية والسياسية.. وعلى حد زعمه أن "العملية التنموية في الأراضي المحتلة ليست مسألة مرتبطة بالاستقلال" (مركز معا:٤).

وفي كتابه "التنمية بالحماية الشعبية" يقول "ان الدولة بالمفهوم الشائع لها وبالدور التاريخي لها عدو الشعب، إنها اداة طبقية اما مباشرة او لا مباشرة، وحتى الدولة بالمفهوم الإشتراكي فانها لا تزال عدواً محتملاً وهذا واضح على الاقل من أنها أداة حكم سياسية في مرحلة إنتقالية هي الإشتراكية، ولذا فانها، حتى في المرحلة الاشتراكية خطر كامن يمكن ان ينفجر ويسحق البناء كله ذات يوم، وهذا ما حصل، إن أركان الدولة أناس لا ينتجون، ومن هنا فانهم معزولون عن النشاط الإنساني الأرقى، إنهم يعيشون على حساب هذا الإنتاج، وحينما يكون الناس أكثر وعياً يصبح وجود جهاز الدولة زائداً ولا بد من اجتثاثه، أي ان تطور وعي الشعب يتناقض مع ضرورة إستمرار وجود جهاز الدولة.

وعليه فان وجود الاستقلال او الحصول عليه، ليس شرطاً أبداً لحصول التنمية بل يمكن أن يكون شرطاً لسحقها وبيعها للسيد الإمبريالي..." (مركز الزهراء:١٣٩)

من خلال قراءة هذا الموقف، يلاحظ ان الكاتب:

١- يفضل الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والفنية للتنمية عن بعضها البعض. وهذا ما يميز المنهج الميتافيزيقي، والمادية الميكانيكية التي تأخذ الظواهر والعمليات بصورة منفصلة ومنعزلة، عن بعضها البعض، على عكس منهج المادية - الديالكتيكية الذي يأخذها في وحدتها وتأثيرها المتبادل.

٢- يعزل مشاركة الجماهير الشعبية في عملية التنمية عن الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي تجري في ظلها هذه العملية علماً بأن مجموعة العوامل السياسية والاقتصادية - الاجتماعية هي التي تلعب الدور المركزي والاساسي في عملية التنمية باعتبارها تتعلق او ترتبط عضوياً بالطابع الطبقي للدولة، وسياساتها الاقتصادية والاجتماعية، وموقفها من الديمقراطية، ومن دور الجماهير الشعبية في عملية التنمية!.

٣- نجاح او إخفاق التنمية في تحقيق

اهدافها في البلدان النامية، وعلى حد تعبيره ان معظم بلدان العالم مستقلة، لكن لم يحدث فيها تنمية، وعليه يتوصل الكاتب إلى استنتاج خاطىء وهو ان "التنمية غير مشروطة بالاستقلال".

مرة إخرى يلاحظ ان الكاتب يفصل ما بين مستلزمات وجوانب التنمية عن بعضها البعض فهو يأخذ هذا الإستقلال السياس بمعزل عن طبيعة الطبقة او الطبقات والفئات الإجتماعية التي إستلمت السلطة بعد الإستقلال، وعن الطابع الطبقي للدولة وسياساتها الإقتصادية والإجتماعية.

٤- الإبتعاد عن تحديد العلاقة العضوية بين الإستقلال السياسي والسيادة الوطنية والتنمية، وإعطاء الإنطباع بأن التنمية يمكن ان تحدث تحت أية ظروف إقتصادية وإجتماعية؟!

أن موضوع البحث، والتساؤلات التي يطرحها، تقتضي تناول مفهوم التنمية في البلدان النامية، وابعادها، ومستلزماتها حتى نستطيع أن نتبين من طبيعة العلاقة بين الاستقلال السياسي، والسيادة الوطنية، والاستقلال الاقتصادي من جهة والتنمية من جهة أخرى، ثم العودة الى موضوعة "امكانية التنمية تحت الاحتلال" لنتبين من صحة الفكرة التي يطرحها الكاتب، وهي التي تقول أن "النتيجة غير مشروطة بالاستقلال"؟

في هذا الصدد، إختزلت بعض النظريات مفهوم التنمية الاقتصادية في اطار وحدود النمو الاقتصادي حيث عرفت التنمية الإقتصادية على أنها ليست اكثر من عملية الزيادة المستمرة في الدخل القومي الحقيقي ومتوسط دخل الفرد منه عبر فترة ممتدة من الزمن!

وكما هو معلوم ان النمو الإقتصادي في الناتج القومي، ومتوسط دخل الفرد لا يعكس سوى جانب واحد فقط من جوانب التنمية وهو الجانب الكمي، ناهيك عن أن مقياس النمو الاقتصادي المتمثل في الزيادة الحقيقية في الناتج القومي ومتوسط دخل الفرد منه يشوبه الكثير من العيوب والنواقص اهمها (٢٣) انه لا يبين نمط توزيع الدخل القومي بين الطبقات والفئات الإجتماعية في المجتمع المعين، وقد يتحقق النمو الإقتصادي في الدخل القومي ومتوسط دخل الفرد بفضل إكتشاف مورد طبيعي كالنفط مثلاً، وليس نتيجة إحداث تغير جذري في مستوى، تطور القوى المنتجة وعلاقات الانتاج التي تلائمها، وتصحيح الاختلالات الهيكلية في الإقتصاد القومي، وفي هذه الحالة ان النمو الإقتصادي في الناتج القومي وتصحيح الاختلالات الهيكلية في الإقتصاد القومي، وفي هذه الحالة ان النمو الإقتصادي في الناتج القومي ومتوسط دخل الفرد الحقيقي، والمتحقق نتيجة لإكتشاف مورد طبيعي معين، من غير الممكن ان يغطي مفهوم التنمية الإقتصادية اذا لم يترافق مع احداث التغيرات في البناء التحتي، والبناء الفوقي للمجتمع المعين، وتصحيح البنية الهيكلية المشوهة للإقتصاد القومي، أي طالما ظلت مظاهر التخلف الإقتصادي على الرغم من الإرتفاع الكبير في متوسط دخل الفرد الحقيقي.

وفي هذه العلاقة، تفيد الكثير من تجارب البلدان النامية خاصة الغنية منها في الثروات الطبيعية ان الكثير منها تمكنت من تحقيق معدلات نمو إقتصادي مرتفعة ومتسارعة نسبياً في الناتج القومي الحقيقي، ومتسوط دخل الفرد. وقد تجاوز الأخير في بعض هذه البلدان نظيره في بعض الدول الرأسمالية المتطورة اقتصادياً، إلا ان معدلات النمو الإقتصادي المرتفعة هذه لم تمكن هذه البلدان من إحداث نقلة إقتصادية نوعية بحيث تنتقل بواسطتها من وضع التخلف الإقتصادي الى وضع التقدم الإقتصادي النسبي، وظلت اسيرة التخلف والتبعية، ولهذا فانها لا تزال تصنف ضمن مجموعة الدول المتخلفة إقتصادياً.

جملة القول ان النمو الإقتصادية في الدخل القومي الحقيقي ومتوسط دخل الفرد ليس كافياً بحد ذاته كمعيار او مقياس للتخلف والتقدم الاقتصادي، وهذا المفهوم (النمو الإقتصادي) لا يغطي أبداً مفهوم التنمية الإقتصادية.

أما مفهوم التنمية في البلدان النامية فهو أوسع وأشمل بكثير من مفهوم النمو الإقتصادي. فالتنمية في البلدان النامية(٢٤) هي عملية ممتدة عبر الزمن، ويتلخص مضمونها الرئيسي في تحقيق التغيير والتطوير الجذري، والشامل للبناء التحتي، والبناء الفوقي للمجتمع، وتغيير أسس توزيع وإعادة توزيع الدخل القومي لصالح الطبقات والفئات الإجتماعية المنتجة للدخل والثروة الإجتماعية، وتصحيح الإختلالات الهيكلية في الإقتصاد الوطني، ولصالح قطاعات الإنتاج المادي، وتقليص التفاوت في التطور ما بين مناطق واقاليم البلاد، وبناء الإقتصاد القومي المتوازن والديناميكي، والقادر على النمو والتوليد الذاتي المستقل، وتأمين الارتفاع المستمر في المستوى المعيشي - المادي والثقافي، والتطور الحر والشامل للفرد والمجتمع إستناداً إلى إستراتيجية الإعتماد على الذات، والتي تأخذ بالحسبان دور العوامل الخارجية كعوامل ثانوية ومساعدة في هذه العملية.

وبهذا المعنى ان التنمية لا تشمل جانب القوى المنتجة وانما علاقات الانتاج، والبناء الفوقي للمجتمع، وهي لا تقتصر على الجانب الكمي المتمثل في النمو الإقتصادي في الدخل القومي ومتوسط دخل الفرد منه بل تشمل ايضاً الجانب النوعي البنيوي لهذه العملية، الممتدة عبر الزمن، والتي تنقل البلدان النامية من خلال مراكمة الإنجازات

السياسية، والاقتصادية، والإجتماعية، والثقافية، والفنية - التكنولوجية من وضع التخلف الى وضع التقدم النسبي.

لم يقتصر التباين بين الإقتصاديين والمفكرين على تعريف التنمية فحسب، وإنما تباينت المتطلبات والآليات المقترحة لتحقيقها ايضاً، وفي هذه العلاقة تركز بعض النظريات الإقتصادية، وبعض الإقتصاديين على الإستثمار باعتباره العامل الحاسم في عملية التنمية الإقتصادية في البلدان النامية، وقد رأى بعضهم بأن المشكلة الأساسية التي تواجه التنمية الإقتصادية إنما تكمن في نقص الإستثمار والتراكم الرأسمالي، ولهذا ليس صدفة إنهم إعتبروا قضية التنمية الإقتصادية كدالة لمعدل الإستثمار/التراكم من الدخل القومي.

صحيح ان الاستثمار/التراكم يعتبر عنصراً هاماً من عناصر التنمية الإقتصادية، لكنه يظل عنصراً واحداً مهما بلغت أهميته، وهو ليس كافياً وحده، وبحد ذاته لتحقيق التنمية الاقتصادية في البلدان النامية وذلك حسبما تؤكد العديد من تجاربها في هذا المجال. ناهيك عن أن دور عنصر الاستثمار في عملية التنمية لا يجوز أخذه بمعزل عن الظروف السياسية، والاقتصادية - الاجتماعية السائدة في المجتمع المعين.

ويرى بعض الاقتصاديين البرجوازيين ان مهمة التنمية الاقتصادية والتخطيط لها إنما تتركز في كيفية الاستغلال الامثل للموارد المتاحة، ومن هنا فان التنمية الاقتصادية والتخطيط لها حسب إعتقادهم تستلتزم في المقام الأول وجود الأجهزة الفنية - الإختصاصية في التخطيط والإدارة الإقتصادية.

وهذا الرأي كما هو واضح يحاول إضفاء الطابع الفني (التكنيكي) البحت على فعاليات التنمية والتخطيط الإقتصادي، وعزله عن مستلزماتها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي تلعب الدور المركزي، والاساسي في هذه العملية، باعتبارها تتعلق بالطابع الطبقي للدولة وسياساتها الإقتصادية والإجتماعية، وموقفها من مشاركة الجماهير الشعبية الواسعة، ومنظماتها النقابية والمهنية، وبالتالي محاولة إفراغ عملية التنمية والتخطيط لها من مضمونها الإقتصادي والإجتماعي والطبقي، والإيحاء بأن التنمية والتخطيط الإقتصادي يمكن ان تحدث تحت اية ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية؟!!

لا شك أن الجانب الفني والرياضي يلعب دوراً هاماً في عملية التنمية والتخطيط الإقتصادي، وهو يعتبر احد جوانبها ومتطلباتها الضرورية، لكن هذا الجانب ليس كافياً بحد ذاته لإنجاز مهمات وأهداف التنمية والتخطيط الإقتصادي في البلدان النامية الغارقة في الكثير من المشكلات والعقبات التي تعترض طريق تطورها الاقتصادي والإجتماعي، ويمكن القول ان الجانب الفني والرياضي يفقد الكثير من أهميته وأداءه المطلوب في ظل غياب المستلزمات السياسية والإقتصادية والإجتماعية المواتية والتي تلعب الدور الأساسي في هذه العملية، وبهذا الصدد تفيد العديد من تجارب تخطيط التنمية الاقتصادية في البلدان النامية، أنه على الرغم من ان خطط وبرامج هذه البلدان كانت معدة جيداً من الناحية الفنية والرياضية - الإقتصادية إلا انها تعثرت في تحقيق معظم أهدافها، وظلت أكواماً مكدسة من الورق في أدراج المكاتب الحكومية.

إن اول شرط موضوعي للتنمية الاقتصادية والإجتماعية والتخطيط لها في البلدان النامية هو إنتزاع الإستقلال السياسي والتحرر من السيطرة الاستعمارية، والذي يوفر إمكانية السيطرة الوطنية على الموارد المحلية، ووضع خطط التنمية ورسم سياساتها الإقتصادية والإجتماعية التي تستجيب لمتطلبات واحتياجات تطور الإقتصاد الوطني.

لكن الإستقلال السياسي، وبناء على تجربة البلدان النامية ليس كافياً وحده، وبحد ذاته لتحقيق أهداف ومهمات التنمية المنشودة في هذه البلدان، وفي مقدمتها تصفية التخلف والتبعية، وبناء الإقتصاد القومي القادر على النمو والتوليد الذاتي - الديناميكي المستقل نسبياً.

في مرحلة الإستعمار الإمبريالي القديم فرضت الدول الإستعمارية الإمبريالية سيطرتها السياسية المباشرة على المستعمرات والتخصص الوحيد الجانب على إقتصادياتها القومية - إنتاج وتصدير المواد الأولية- في حين تخصصت إقتصاديات الدول الإستعمارية الإمبريالية في إنتاج السلع المصنعة، واصبحت المستعمرات أسواقاً رائجة لمنتجات الدول الإمبريالية، والأهم من ذلك انه خلال الحقبة الاستعمارية الإمبريالية نشأت وتطورت القاعدة الإجتماعية داخل المستعمرات والتي تجد مصلحتها في توثيق العلاقة مع الدول الإمبريالية والسوق الرأسمالية العالمية.

وبعد أن حصلت معظم البلدان النامية على إستقلالها السياسي في أعقاب الحرب العالمية الثانية وجدت هذه البلدان نفسها غارقة في الكثير من المشكلات والعقبات التي تعترض طريق التنمية، والتخلص من التخلف الموروث من عهد السيطرة الإستعمارية الإمبريالية الكلاسيكية، والتي أدت الى تشويه البنية الهيكلية لإقتصادياتها القومية، ونهب ثرواتها ومواردها الطبيعية والإقتصادية، وإحتجاز تطورها الإقتصادي والإجتماعي. وتمخض عن عهد السيطرة الاستعمارية الإمبريالية الجديد نموذج التبعية والتبادل اللامتكافىء، والتي

ترسخت "اقدامها" في مرحلة الاستعمار الإمبريالي الجديد، حيث وفي ظروف إندماج إقتصاديات البلدان النامية في السوق الرأسمالية العالمية من مواقع الضعف والتبعية تعمل القوانين الإقتصادية الموضوعية للرأسمالية المهيمنة والفاعلة على الصعيد العالمي على تكريس تخلف وتبعية البلدان النامية، وإستمرار عملية إستنزاف الفائض الاقتصادي لهذه البلدان نحو الخارج، والذي يجري تحت أشكال أخرى غير طريق التبادل اللامتكافىء واهمها (٢٥) أرباح وفوائد الرأسمال الإحتكاري الأجنبي، ورواتب وأجور الموظفين والعمال الإجانب، وبدل براءات الإختراع، والعلامات التجارية، والتي تحول إلى الخارج، بالعملات الأجنبية بفعل إعتماد إستراتيجية التصنيع الموجه للتصدير بصفة خاصة.

وهكذا يتبين ان منظومة علاقات التبعية لا تؤدي الى استنزاف جزء كبير من الفائض الإقتصادي للبلدان النامية فحسب، والضروري لعلمية التراكم والتنمية بل إلى تعميق وتكريس الإختلال والتشوه في البنية الهيلكية الاقتصادية، وإعاقة تطوير القاعدة الانتاجية التي تشكل الأساس المادي للإستقلال الإقتصادي والذي يشكل بدوره شرطاً أساسياً لانجاز مهمات واهداف التنمية المنشودة في هذه البلدان.

إن البرجوازية الكومبرادورية (وكيل الرأسمال الاجنبي في السوق المحلي) والبرجوازية الطفيلية التي تمارس اعمال المضاربة والوساطة والسمسرة على إختلاف اشكالها، والبرجوازية البيروقراطية التي تستغل مركزها الوظيفي في اجهزة الدولة، والقطاع العام او الحكومي من اجل الاثراء الشخصي بالطرق غير المشروعة كالرشوات والإختلاسات...الخ، واحيانا اخرى بالطرق المشروعة كالرواتب العالية والبدلات والمكافآت والعلاقات المتنوعة، هذه الفئات الرأسمالية من شأن نشاطها الإقتصادي ان يؤدي حتماً الى تعميق وتكريس التخلف والتبعية، حيث أن الرأسمالية المحلية الكبيرة وكبار الملاك شبه العقاريين يكافحون دائماً وبشراسة من اجل إنتهاج سياسة الإنفتاح الاقتصادي، وبالاحرى اللاقتصادي، وفتح "باب" الإقتصاد القومي على مصراعيه امام رأسمال الاحتكاري الاجنبي، وبدون قيد وشرط، وبالتالي إعادة الحاق ودمج الاقتصاد القومي بالنظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي، والسوق الرأسمالية العالمية التي تقع تحت سيادة الإحتكارات الرأسمالية والشركات المتعدية لحدودها القومية.

وتجدر بنا الاشارة في هذا الصدد إلى مسألتين أساسيتين وهما:

١- ان السمة الريعية، والطفيلية هي التي تهيمن على النشاط الإقتصادي للرأسمالية المحلية الكبيرة في البلدان النامية التي تسير في طريق النمو الرأسمالي التابع، وبفضل الثقل الإقتصادي الذي تتمتع به الرأسمالية التجارية/الكومبرادورية، والطفيلية، والبيروقراطية فانها تشغل مركز الثقل السياسي في إطار نظام الحكم.

٢- تداخل النشاط الإقتصادي للرأسمالية التجارية/الكومبرادورية، والطفيلية، والبيروقراطية والرأسمالية العقارية، وكبار الملاك العقاريين في مجالات تجارة الإستيراد والتصدير، وتجارة الجملة الداخلية، والمضاربات المالية والعقارية، وفي البنوك والتأمين وشركات الوساطة المالية، والتعهدات والمقاولات، وخدمات السياحة والفندقة والاتجار بالعملة، والتهريب وغيرها من الأنشطة التي تحقق الربح السريع والمضمون نسبياً، والتي لا تضيف جديداً إلى ثروة المجتمع المادية، وهذا التداخل والتشابك يولد بدوره التشابك في مصالحها أما إستثمارات الرأسمالية الصناعية، والزراعية في هذه البلدان فانها لا توجد في الواقع بصورة صرفة، بل نجدها متداخلة مع إستثمارات الرأسمالية التجارية/الكومبرادورية، والطفيلية، والعقارية، وهذا ما يجعل من فرز كل واحدة منها على إنفراد مسألة في غاية الصعوبة.

أما كبار الملاك الزراعيين شبه الاقطاعيين فان الشكل المفضل والأكثر إنتشاراً لإستغلال اراضيهم فهو تأجير الأرض مقابل ريع (عيني او نقدي او كليهما معاً)، وفي الغالب يقوم كبار الملاك الزراعيين بتجزئة أراضيهم الى حيازات زراعية صغيرة، ثم تأجيرها للفلاحين وأسرهم مقابل ريع عيني (جزء معين من المنتوج الزراعي)، وهذا ما يعرف بنظام المحاصصة (المزارعة)، وهو نظام شبه اقطاعي من حيث مضمونه الإجتماعي، وفي الوقت ذاته، يستثمر بعض كبار الملاك الزراعيين جزءاً من أموالهم في تجارة الإستيراد والتصدير، والمضاربات المالية والعقارية وغيرها من أشكال الإستثمار المالي الذي ينقل ملكية الأصل الرأسمالي من يد لأخرى وحسب.

وعلى صعيد النهج السياسي الداخلي، وحيثما تستحوذ الطبقة الرأسمالية المحلية الكبيرة على السلطة في البلدان النامية، فأنها تلجأ إلى أجهزة الجيش، والأمن، والمخابرات العامة، كأدوات للقمع، والتفرد، والإستئثار بالسلطة، وفي أحسن الحالات تجري إنتخابات نيابية صورية، معروفة نتائجها سلفاً، (٩٩,٩٩٩٪) لصالح الزعيم القائد، الخالد والأبدي! كما ان هذه الطبقة تعجز تماماً عن تطبيق أشكال الديمقراطية البرجوازية، فهي تمعن في إصدار القوانين والأنظمة التي تصادر الحريات الديمقراطية العامة: حرية التنظيم الحزبي والسياسي والنقابي أحياناً، وحرية المطبوعات والنشر،

ومصادرة أبسط حقوق الإنسان في العمل والتنقل، والسفر، والتعبير، والرأي، والإجتماع، والتظاهر، فالنقابات العمالية والمهنية الجماهيرية هي دائماً عرضة للتدخل في شؤونها الداخلية من قبل السلطة الحاكمة وأدوات قمعها، ناهيك عن ملاحقة وإستدعاء وإعقال النشطاء النقابيين غير الموالين لنظام الحكم، كل ذلك بهدف إبعادهم عن المراكز والهيئات القيادية النقابية وإتاحة الفرصة للعناصر النقابية الموالية، وبالقانون (قانون العمل) تحل النقابات وتدمج او تفصل عن بعضها البعض، ويمنع الإضراب العمالي، وتفرض عقوبة السجن أو الغرامات المالية ضد العمال المضربين او المحرضين على الإضراب!

وبين الفينة والأخرى، خصوصاً وقت الأزمة الإقتصادية والسياسية، لا يتوانى نظام الحكم عن فرض قوانين الدفاع والأحكام العرفية على البلاد، وحظر النشاط العلني للأحزاب السياسية الوطنية المعارضة، وربما إصدار القوانين والأنظمة العجيبة كقانون "مكافحة الشيوعية"! أو تجميد الحياة النيابية، وحل البرلمان، ومصادرة إستقلالية القضاء المدني، وفرض القضاء العسكري - العرفي ذي القرارات النهائية غير القابلة للطعن او الاستئناف، وانفلات السلطة التنفيذية التي تمعن في إصدار القوانين المؤقتة، وإطلاق يد أجهزة القمع التي تعيث في الأرض فساداً!

وفي هذه التربة الخصبة، ينبت، ويترعرع الفساد الإداري والبيروقراطية بكافة أشكالها من رشوات، ومحسوبيات، وسوء إدارة وإهمال وإختلاس للمال العام، وعلاقة لا ديمقراطية بين أجهزة الدولة العامة والشعب...الخ، والتي تشكل واحدة من العقبات الرئيسية التي تعترض طريق التنمية.

وتفيد تجارب التنمية والتخطيط لها في الكثير من البلدان النامية التي تسير في طريق النمو الرأسمالي التابع ان ما تحقق في هذه البلدان كان في الواقع نمواً إقتصادياً كمياً أكثر منه تنمية إقتصادية إجتماعية، حيث إنتهت تجربة التنمية إلى إعادة الحاق ودمج إقتصادياتها من مواقع الضعف والتبعية بالنظام الرأسمالي العالمي، وتعمقت الإختلالات والتشوهات في البنية الهيكلية للإقتصاد القومي، وتفاقمت العجوزات في موازينها، وإزداد التفاوت في التطور ما بين القطاعات الإقتصادية، ومناطق ومحافظات البلاد، وإشتد التمايز الإجتماعي - الطبقي في الريف والمدينة، ولم تحل مشكلات البطالة، وجيوب الفقر، وسوء التغذية والأمية وتفاقمت المديونية الخارجية، وباختصار أنها ظلت أسيرة التخلف والتبعية.

جملة القول أن الإستقلال السياسي ليس كافياً وحده وبحد ذاته لإنجاز مهمات واهداف التنمية المنشودة في البلدان النامية، والتخلص من التخلف، وهو يتحول إلى مجرد صيغة شكلية اذا لم يترافق مع قيام السلطة الوطنية الديمقراطية والتقدمية القادرة على إستثمار الإستقلال السياسي من أجل تحقيق الإستقلال الإقتصادي، والسيطرة على الفائض الإقتصادي وتوظيفه العقلاني في خدمة أهداف وأولويات التنمية.

إن التخلف هو ظاهرة تاريخية نشأت في مرحلة محددة تاريخياً من تطور البلدان النامية، وهي مرحلة نشوء وتطور النظام الإستعماري الإمبريالي، والذي أدى الى اندماج المستعمرات في النظام الإقتصادي الرأسمالي العالمي والسوق الرأسمالية العالمية من مواقع الضعف واستمرت هذه الظاهرة بأستمرار الظروف والأسباب التي ولدتها(٢٦).

والجدير ذكره ان الأهمية النسبية لمجموعة العوامل المولدة للتبعية والتخلف في البلدان النامية تختلف من حيث الموقع الذي تحتله في هذه العلاقة، ويمكن التعميم بأنه إذا كانت مجموعة العوامل الخارجية (الموضوعية) في مرحلة الإستعمار الإمبريالي القديم تلعب الدور الرئيسي في تعطيل عملية التراكم والتنمية في المستعمرات، فان العوامل الداخلية السياسية والإقتصادية والإجتماعية غير المواتية أصبحت تلعب الدور الحاسم والرئيسي في تفسير إستمرار التخل والتبعية في البلدان النامية.

وفي الوقت ذاته من الخطأ الإعتقاد بأن التنمية في البلدان النامية يمكن أن تتحقق بصورة أوتوماتيكية - تلقائية بمجرد التخلص من العائق الخارجي (الموضوعي) او بمجرد القطيعة مع السوق الرأسمالية العالمية كما يعتقد بعض الإقتصاديين والمفكرين، والأساس في هذه المسألة (٢٧) هو المصالح الطبقية التي يخدمها، وكيف، ومن أجل ماذا، ومقابل ماذا يجري الإنفتاح او الإنغلاق؟

مما لا شك فيه ان التخصص وتقسيم العمل الدولي الرأسمالي من غير الممكن ان يؤدي إلى تحقيق المنفعة او الفائدة لجميع الاطراف المشتركة فيه، أي ما بين دول المركز الرأسمالي والدول النامية (المتخلفة) التي تشكل الاطراف في النظام الرأسمالي العالمي وفي هذا السياق تستخدم نظرية "التكاليف او المنافع المقارنة" الريكاردية التقليدية لتبرير واقع التفاوت والإستغلال الرأسمالي الدولي، في حين يمكن ان يكون لهذه النظرية إستخدامات مفيدة في عالم غير إستعماري، وغير إمبريالي(٢٨).

على النقيض من نظرية "التكاليف او المنافع المقارنة" كشفت نظرية "التبادل غير المتكافىء" عن آلية إستغلال ونهب المركز الرأسمالي "للاطراف"، في ظل التقسيم الرأسمالي العالمي للعمل، وحسب

هذه النظرية (٢٩) انه في ظل النظام الرأسمالي العالمي يتم تبادل منتجات تحمل كمية أكبر من العمل في الأطراف (البلدان المتخلفة) بمنتجات تحمل كمية أقل من العمل في المركز الرأسمالي، وتتجسد هذه العلاقة التبادلية غير المتكافئة وتظهر بمظهر سعري في "تدهور شروط التجارة الدولية" وتتسع هذه الفجوة على الدوام، ولصالح عملية التراكم في المركز الرأسمالي، وهو الأمر الذي يؤدي إلى إستنزاف ثروات وموارد بلدان "العالم الثالث"، نحو الخارج والذي يعرقل بدوره عملية التراكم/الإستثمار والتنمية في هذه البلدان.

ومن هنا دعا البعض إلى القطيعة مع السوق العالمية والإنغلاق على الذات كشرط للتنمية والتقدم باعتبار ان جميع السياسات الإنمائية، التي تنخرط في السوق العالمية لن تكون أكثر من مجرد "أمنيات طيبة"، وحتماً سيكون مصيرها الفشل!

ويؤخذ على هذه النظرة (٣٠) انها قد تعطي إنطباعاً، وكأن السوق العالمية مجرد "حيز" جغرافي، يمكن الخروج منه او الدخول اليه بمجرد قرارات ذاتية، وان مجرد الخروج من السوق العالمية يعني توفر شروط التنمية في حين ان مجرد الدخول فيه إنما يعني إنعدام هذه الشروط، ودون الأخذ بالحسبان العلاقات الإقتصادية العالمية كمنظومة علاقات محكومة لقوانين إقتصادية موضوعية، والتي لا يمكن إلغاؤها بقرار او ببناء سور يفصل ما بين "الاطراف" والمركز الرأسمالي.

اما البعض الآخر من الإقتصاديين والسياسيين الممثلين لوجهة نظر حكومات البلدان النامية(٣١) فقد غرقوا في "النضال المطلبي" حيث ركزوا على النضال من أجل "أسعار عادلة"، و"محمية من التدهور"؟! لكن النضال المطلبي هذا والمجرد في الوقت ذاته من اية قوة كان من شأنه، حتماً ان يتحول الى مجرد "تباكي" و "إستجداء" من اجل "الصدقة" و "الاحسان"! وهو الشيء الذي لا يستقيم ابداً مع فعل القوانين الإقتصادية الموضوعية للرأسمالية.

أما الاتجاه الليبرالي، وعلى النقيض من إتجاه القطيعة والإنغلاق على الذات، فانه يرى بأن الإنفتاح غير المشروط على السوق العالمية، والتكيف "المرن" لمطاليبها هو السبيل الوحيد لتحقيق أي انجاز تنموي في هذه البلدان!

والصحيح ان الانفتاح اللامشروط على السوق العالمية وفي ظل واقع التخلف، والتفكك الداخلي في بلدان "العالم الثالث" حتما سيؤدي الى حالة من "الاندماج التبعي" بالنظام الرأسمالي العالمي، وان الانفتاح الاقتصادي لن يكون الا إنفتاحاً لا إقتصادياً، انه "انفتاح التخلف والتبعية"، والحالة هذه، من الصعب للغاية، ان لم يكن مستحيلاً السير خطوة حقيقية على طريق التنمية والتقدم والاستقلال، فالتبادل ما بين انظمة متخلفة، وانظمة متقدمة إقتصادياً حتماً سيكون غير متكافىء، ولصالح الثانية، كما أن الانخراط في السوق الرأسمالية العالمية، ومن مواقع التخلف والتبعية سيؤدي إلى إحتجاز تطور "الاطراف او الى تنمية وتعميق التخلف والتبعية.

وعليه ان إلغاء "التبادل اللامتكافىء" ما بين بلدان "العالم الثالث" والمركز الرأسمالي من غير الممكن ان يتحقق بالانفتاح اللامشروط على السوق العالمية، ولا بمجرد القطيعة معها، والانغلاق على الذات.

إن طريق التنمية والتخلص من التخلف والتبعية هو طريق شاق وطويل، وهو عملية ثورية تراكمية تؤدي في المحصلة النهائية إلى تغيرات نوعية في جميع ميادين ومجالات حياة والذي يستلزم اولاً النهوض بالاوضاع الداخلية، فمن غير الممكن تحقيق التنمية والتقدم الإقتصادي والإجتماعي في ظل نفس الظروف والاوضاع الداخلية المسؤولة عن إستمرار وتكريس التخلف والتبعية بل تستلزم هذه العملية إحداث التغيير والتطوير الجذري والجوهري في البنى الفوقية والتحتية للمجتمع، وتصحيح الإختلال في البنية الهيكلية للإقتصاد القومي وبناء القاعدة الانتاجية - التكنيكية والتكنولوجية المتطورة التي تمكن الإقتصاد القومي من النمو والتوليد الذاتي المستقل نسبياً، وبالتالي الدخول الى السوق العالمية من مواقع القوة.

وباختصار إن الخروج من دائرة التخلف والتبعية، وبالتالي من مأزق التطور الذي يواجه بلدان "العالم الثالث" يستلزم(٣٢) أولاً الإرتقاء الشامل والمتكامل سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً وثقافياً في طبيعة الانظمة القائمة في هذه البلدان، وبما يؤدي إلى إقامة النظام السياسي، والاجتماعي - الاقتصادي النوعي، والقائم على أساس الإعتماد على الذات، أي بناء المجتمع الذي يعيش على ناتج عمله بصورة أساسية وفي إطار من علاقات التعاون غير الإستغلالية، لكن وبسبب ضعف قدرة كل بلد متخلف (نامي) على إنفراد، على المواجهة، ومن أجل الخروج من دائرة التخلف والتبعية، فان الضرورة تقتضي بأن يكون الإعتماد على الذات ليس على المستوى الوطني وحسب بل، وعلى المستوى الجماعي او القومي في آن واحد، وأكثر ما ينطبق هذا القول على نطاق عربي.

وفي هذا الصدد إن "الإعتماد الجماعي على الذات (٣٣) ليس مرادفاً أو مكافئاً لـ «التكامل أو التعاون الإقتصادي». كما لا يعني «التنمية المشتركة» أو «تنسيق السياسات الإقتصادية» بل هي حالة لا يمكن تحقيقها إلا بتوفر جملة من الشروط السياسية والإقتصادية والإجتماعية

والثقافية والحضارية المتكاملة. والشرط الأساسي للارتقاء الى "الإعتماد الجماعي على الذات" هو الإرتقاء الشامل والمتكامل بالوضعية الوطنية، والقومية من حالة التفكك، والتنافر، وتصارع المصالح في الداخل إلى حالة الإندماج والوحدة على أسس وعلاقات تعاون غير إستغلالية، وبالتالي ظهورها في تعاملها مع العالم الخارجي كممثل واحد، للواقع القومي الموحد والمنسجم بمصالحه وأهدافه.

٥- يبتعد الكاتب عن تحديد مستوى او درجة شمولية التنمية المختلفة تحت الاحتلال! والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد، هو اذا كانت "التنمية غير مشروطة بالاستقلال" على رأي الكاتب فما هي امكانيات تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية كنهج للتغيير والتطوير الجذري والشامل، وبناء اقتصاد وطني فلسطيني قادر على النمو والتوليد الذاتي، والمستقل تحت الاحتلال الكولونيالي، والنيوكولونيالي - الاستيطاني الاسرائيلي؟

صحيح إن الإحتلال لا ينفي التنمية بالمعنى المطلق والتام في الأراضي الفلسطينية المحتلة، لكن التنمية الممكنة بجهود العامل الذاتي (الفلسطيني) هي ذات طبيعية جزئية وليست شاملة.

وإذا كانت التنمية كما يقول الكاتب ليست مشروطة بالإستقلال، وان الدولة المستقلة ليست شرطاً للنمو الإقتصادي المتوازن، ولتنمية إقتصادية وإجتماعية عادلة فان التنمية الشاملة والمخططة "العادلة" هي ايضاً غير ممكنة تحت الإحتلال، لأن هذا المستوى من التنمية يوجد في تناقض تناحري ولا يتعايش البتة مع الاحتلال!

إن الإحتلال الإسرائيلي هو ذو طابع كولونيالي، ونيوكولونيالي في آن واحد(٣٤). وهو يسعى من جهة إلى تدمير التكوين الإجتماعي - الإقتصادي، وتهميش الوجود المادي والروحي للشعب الفلسطيني، وتقليص شروط وإمكانيات بقاءه على ارضه، في المحصلة النهائية محاولة قطع الطريق على قيام اي كيان سياسي، وتكوين إجتماعي - إقتصادي فلسطيني مستقل على التراب الوطني، وهذا هو بالضبط الهدف الإستراتيجي للإحتلال.

من جهة اخرى أن الاحتلال الإسرائيلي كاحتلال نيوكولنيالي، يسعى إلى تحقيق الربح الاعظم للإقتصاد الإسرائيلي، وأرباب العمل والشركات الإسرائيلية من خلال الإستغلال الاقتصادي الأقصى للأراضي المحتلة، وهي المصلحة الآنية (الإقتصادية) للإحتلال.

وبسبب التناقض الشكلي القائم ما بين المصلحة الإستراتيجية، والمصلحة الآنية (الإقتصادية) للإحتلال فقد ترك المجال لوجود هامش معين لنمو وتطور إقتصاد الأراضي المحتلة، لكنه هامش ضيق ومتناقض في آن واحد، وهذا هو السبب الرئيسي في إعتقادي، والذي يفسر "التنمية الممكنة في ظل الإحتلال" باعتبارها تنمية جزئية، وغير شاملة.

منذ اللحظة الأولى لإحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة إنصب إهتمام الكولونيالية - الاستيطانية الإسرائيلية على تدمير وتهميش قطاعات الإنتاج المادي، خاصة الزراعة والصناعة بهدف تحطيم مقومات وشروط الإعتماد الإقتصادي على الذات، وخلق مقومات وشروط الإلحاق والتبعية الإقتصادية، وتحويلها الى سوق إستهلاكية للبضائع الإسرائيلية، ومصدر لتزويد سوق العمل الإسرائيلي بالايدي العاملة المتدنية الكلفة نسبياً، في المحصلة النهائية "جر" إقتصاد الأراضي المحتلة الى هوة "الإندماج التبعي" للإقتصاد الإسرائيلي، وفرملة امكانات وشروط نموه الذاتي، وتطوره المستقل نسبياً.

ولتحقيق أهدافها إستخدمت الكولونيالية الإسرائيلية ولا تزال جملة من الإجراءات والوسائل الإدارية، والقانونية، والعسكرية الآمرة ذات التأثير السلبي على تطور إقتصاد الأراضي المحتلة. ويقف في مقدمة هذه الاجراءات والوسائل مصادرة واغلاق الأراضي، والسيطرة على مصادر المياه والتحكم في كميات وإتجاهات توزيعها واستعمالها، وبما يخدم الهدف أعلاه من جهة ومخططات الإستيطان من جهة اخرى، وفرض القيود على الإنتاج والتسويق الزراعي، والتحكم في تراخيص الصناعة والبناء، وعرقلة تطور القطاع الصناعي، وتطويعه في خدمة الصناعة الإسرائيلية، وأغلاق البنوك والمؤسسات المالية، وفرض الضرائب المتعددة والباهظة، والرسوم الجمركية العالية على المستوردات من المواد الخام، والسلع الوسيطية، والانتاجية اللازمة للصناعة بصفة خاصة، وإحتكار التجارة الخارجية للأراضي المحتلة وحصرها مع إسرائيل او من خلالها، إضافة إلى منافسة البضائع الإسرائيلية، والتي تتمتع بالدعم الحكومي، وبمختلف التسهيلات الادراية والإقتصادية لتسهيل عملية غزوها لأسواق الأراضي المحتلة.

من خلال هذه الإجراءات والوسائل تمكنت السلطات المحتلة، وعلى إمتداد اكثر من ربع قرن من الإحتلال، من فرض واحكام سيطرتها على الاستثمار، والانتاج، والتبادل والتجارة الخارجية، وعلى مجمل عملية تجديد الإنتاج الإجتماعي، وإتجاهات تطورها، ومن إعادة تشكيل البنية الإقتصادية الهيكلية، وتطويعها بما يخدم مصالح وأهداف الإقتصاد والإحتلال الإسرائيليين.

وقد تمخض عن سياسات الاحتلال الإسرائيلي جملة من الاثار والنتائج

الإقتصادية المدمرة، وكان من أبرزها تعميق وتكريس الاختلال والتشوه في البنية الهيكلية الإقتصادية، وخلق نموذج التبعية والتبادل اللامتكافىء ما بين إقتصاد الأراضي المحتلة والإقتصاد الإسرائيلي، ولصالح الثاني، وعملية التراكم الرأسمالي في إسرائيل.

جملة القول ان التوجه صوب التنمية الشاملة والمخططة يستلزم اولاً وكما هو واضح تحطيم العائق الموضوعي (الاحتلال)، اي التحرر الوطني والاستقلال، والذي يعني تحقيق السيادة على الموارد المحلية، ونقل سلطة القرار الاقتصادي من قبضة السلطات المحتلة الى يد السلطة الوطنية، وبالتالي توفير إمكانية صياغة وتنفيذ السياسات الإقتصادية والإجتماعية التي تستجيب لمصالح ومتطلبات تطور الإقتصاد الوطني.

وهكذا يتبين ان الرأي الثاني، والذي يرى بان "التنمية غير مشروطة بالاستقلال" لم يتمكن في الواقع من تشخيص "إمكانية التنمية تحت الإحتلال" بصورة وافية ودقيقة، وكما هو واضح يعزل هذا الرأي الجوانب والشروط السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية للتنمية عن بعضها البعض، ويبالغ في دور العامل الذاتي وامكاناته المتاحة لإحداث التنمية تحت الإحتلال مقابل تبهيت دور العائق الرئيسي الموضوعي (الاحتلال) الذي يقف حجر عثرة في طريق التنمية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

٦- ان الحجة التي ساقها الكاتب لتبرير فكرته التي تزعم بأن التنمية غير مشروطة بالاستقلال هي حجة باطلة علمياً وعملياً، وعلى حد تعبيره طالما ان الدولة بالمفهوم الشائع، والدور التاريخي لها هي عدو الشعب، وان اركان الدولة هم اناس غير منتجين فان "وجود الدولة المستقلة، والاستقلال ليست شرطاً لحصول التنمية"؟

ان الخطأ في هذا الاستنتاج الذي توصل اليه الكاتب، يكمن في عدم التمييز ما بين مجاميع الدول المستقلة من حيث طابعها الطبقي، ووضعها جميعاً في "سلة واحدة"! علماً بان الطابع الطبقي للسلطة السياسية يلعب الدور الحاسم في تحديد المضمون الاقتصادي والاجتماعي للتنمية واتجاهات تطورها.

اما رأي الكاتب بشأن شروط اضمحلال، وتلاشي الدولة فقد جاء مشوشاً، ومبتوراً هو الآخر، حيث اكتفى بتحديد شرط واحد فقط هو تطور وعي الناس، ناهيك عن ان الكاتب يتحدث عن وعي الناس، بشكل عام وليس بشكل محدد تاريخياً!

إن تطور وعي الناس ونضوجه، ليس كافياً، بحد ذاته، لـ "تلاشي الدولة"، والإنتقال إلى الإدارة الذاتية الإجتماعية الشيوعية بل لا بد وان يترافق تطور وعي الناس مع زوال الشروط المادية الموضوعية اولاً، والتي اشترطت نشوء الدولة في مرحلة محددة تاريخياً، والمتمثلة في الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، والتي أدت بدورها إلى إنقسام المجتمع الى طبقات تناحرية، وثانياً ضرورة قيام الملكية الإجتماعية الإشتراكية لوسائل الإنتاج، لكن الدولة في المجتمع الإشتراكي (الطور الاول أو الأدنى) لا تضمحل بل تتطور لأسباب داخلية وخارجية. أما "تلاشي الدولة" في المجتمع الشيوعي فانه يشترط تحقيق مستوى عال ورفيع في تطور القوى المنتجة، وإندماج شكلي الملكية الإجتماعية الإشتراكية (ملكية الشعب بأسره، والملكية التعاونية الجماعية) في شكل واحد للملكية، وهي الملكية الشيوعية، وإلغاء الفوارق الجوهرية الإجتماعية والإقتصادية بين الريف والمدينة، وبين العمل اليدوي والعمل الفكري، وصيرورة العمل الحاجة الحيوية الاولى للإنسان، وقيام المجتمع المتجانس والمنسجم إجتماعياً - اللاطبقي، وتحقيق مستوى عال جداً للإنتاج يتحقق معه وفرة في الخيرات المادية والثقافية (الروحية) وبما يسمح لجميع أعضاء المجتمع الحصول عليها حسب حاجاتهم، وهذا يستلزم بدوره درجة عالية جداً من إنتاجية العمل، ومن وعي الناس. وأنذاك يجري الإنتقال من مبدأ التوزيع حسب العمل إلى مبدأ التوزيع حسب الحاجة. وقد رأي لينين (٣٥) ان إضمحلال الدولة إضمحلالاً تاماً في الطور الاعلى من المجتمع الشيوعي يشترط شرطين أساسيين: الاول الأساس الإقتصادي، وهو تطور الشيوعية إلى حد عال ورفيع يزول معه التضاد بين العمل الفكري والعمل الجسدي، وصيرورة العمل "الحاجة الحيوية الأولى في الحياة"، والثاني الديمقراطية الكاملة، وذلك عندما يتعلم الجميع الإدارة ويديرون في الواقع بصورة مستقلة الإنتاج الإجتماعي. وعند هذه الدرجة من التطور الاجتماعي تنتفي الحاجة إلى وجود جهاز إداري بحت تكون الإدارة شغله الشاغل والوحيد، وكذلك يصبح وجود الدولة بوصفها مؤسسة سياسية غير ضرورية ولا حاجة اليه، لكن "تلاشيء الدولة" لا يعني تلاشي السلطة بوجه عام، وإنما تتحول مع الزمن وتدريجياً هيئات سلطة الدولة الى هيئات للإدارة الذاتية الإجتماعية الشيوعية - أرقى واعلى شكل للتنظيم الإجتماعي.

وفي هذا الصدد ميز إنجلس ما بين "حكم الناس" و "إدارة الأشياء" و "توجيه العمليات الإنتاجية". وفي الأفاق البعيدة الأمد للمجتمع الشيوعي يختفي "حكم الناس" في حين تظل "إدارة الأشياء" و "توجيه العمليات الإنتاجية" الهدفين الاساسيين للتنظيم الإجتماعي وهذا هو جوهر عملية "تلاشي الدولة". اما الإعداد

السخير للدعاية ١٩٩٤

ذوقكم يدفعنا الى الامام..

20-05-99

كل عام وأنتم بخير

شركة سنمار للكمبيوتر

olivetti

نعم... أوليفيتي

الكمبيوتر ذو الجودة العالمية!

بـ ٢٧٨٠ ش.ج

٦٣٠ ش.ج × ٦ أقساط

السعر يشمل ض.ق.م

מחשב 486 PCS 40 S25

זכרון 4M.B

כונן 1.44M.B

מסך S.V.G.A 0.28

Windows. Dos

olivetti DM 124 طابعة كمبيوتر ذات جودة طباعة عالية

- عدد الأبر برأس الطابعة 24
- ذاكرة كبيرة 40 KB
- عدد اللغات 7
- عرض الطابعة "8

السعر: ٢٢٥ ش.ج × ٦ أقساط

السعر يشمل ض.ق.م

olivetti OFX 100

٦ × ٢٢٣ ش.ج

السعر يشمل ض.ق.م

- جهاز فاكسيميليا استعمال سهل للجهاز (٢ أزرار)
- محول بين فاكس / كمبيوتر الكتروني / هاتف
- استقبال أوتوماتيكي / يدوي • امكانية طلب كلام قبل الارسال
- ١٦ مستويات رمادية • تصوير مستندات • تقارير استقبال وارسال

olivetti OFX 3100

- فاكسيميليا تستعمل ورقاً عادياً حجم A4 بجودة عالية وترسل ورقة حجم A3
- طباعة بطريقة رش الحبر (Bubble Ink Jet) من كانون
- ارسال أوتوماتيكي عن طريق الذاكرة حتى ١٠٠ رقم مختلف
- تصوير مستندات ورق عادي حتى ٩٩ نسخة.

** استقبال عند طوق الذاكرة في حالة انتهاء الورق أو الحبر في الفاكس.

لمزيد من التفاصيل الرجاء الاتصال بنا ...

سنمار Sinimar סנמאר

الناصرة - مقابل مسجد السلام

٥٦٥٥٧٥ ☎ ٥٦٥٥٧٤ ☎ ٥٧٨٠٥٥

20 -05- 1994

Al-Mashriq Insurance

المشـــرق للتأميـن

نحن نعطيك الامان

من هنا نبدأ معاً....

المشرق للتأمين

عنوانك للأمان وضمانة للمستقبل

وكلاؤنـــا فـــي كـــل مكـــان

المركز الرئيسي :البيرة - عمارة سوق البلدية التجاري -الطابق السابع - تلفون ٠٦ - ٩٥٨٠٩٠-٠٢.

فاكس: ٩٥٨٠٨٩ - ٠٢-٩٧٢ : ص.ب ١٦٠٠ رام الله ، برقيا :المشرق

سكودا

IQ + ❤ = ŠKODA
Volkswagen Group

من فولكس فاجن

٣٥ الف شاتل

دوبل كابينا

سكودا من جبال الألب والكربات في أوروبا

إلى

جبال وسهول الضفة الغربية وقطاع غزة

٣٥٣٩٩ شاتل

٣٢٧٧٧ شاتل

٢٧٩٩٩ شاتل

شرقي برس

شركة المصري التجارية

وكلاء عامون سكودا في الضفة الغربية

رام الله - تلفون ٩٥٣٦٥٧ فاكس ٠٢-٩٥٩٦١٩٠

لهذه العملية فانه يتم في مرحلة أسبق بكثير، ومن خلال الفصل التدريجي لمؤسسات الإدارة الإقتصادية عن مؤسسة الحكم السياسي للمجتمع الإشتراكي. وهنا يقوم الفصل التدريجي للإدارة الإقتصادية (إدارة الإقتصاد القومي) عن الحكم السياسي باعداد الشروط المؤسسية لـ "تلاشي الدولة". ويعتبر التناقض التدريجي لممارسة وتوجيه السلطة السياسية للعمليات الإقتصادية إنعكاساً جوهرياً لعملية نضج المجتمع الإشتراكي، ويمهد الطريق لـ "تلاشي الدولة" في الآفاق البعيدة الأمد للمجتمع الشيوعي(٣٦).

خاتمة

يزعم الاصلاحيون بانه يمكن ان تنبثق علاقات الانتاج الاشتراكية تدريجياً في احشاء المجتمع الرأسمالية، وبواسطة التعاون، ويخلص هؤلاء الى استنتاج مفاده انه يمكن تحويل الرأسمالية على أساس التعاون الانتاجي، فقط اذا ما تم اشراك جميع السكان في التعاونيات!

في الحقيقة، والواقع انه من غير الممكن ان تنشأ علاقات الانتاج الاشتراكية، ومن تلقاء ذاتها في احشاء المجتمع الرأسمالي، كما هو الحال مثلاً بالنسبة لعلاقات الانتاج الرأسمالية التي تنشأ من تلقاء ذاتها في رحم المجتمع الاقطاعي، فالانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية تجري بطريقة مختلفة تماماً عن تلك التي تتم بها طريقة الانتقال من المجتمع الاقطاعي الى المجتمع الرأسمالي، ويجد ذلك تفسيره في ان الاساس الاقتصادي لكل من المجتمع الاقطاعي، والمجتمع الرأسمالي هو من طراز واحد، وهو الملكية الخاصة لوسائل الانتاج في حين يختلف جذرياً الاساس الاقتصادي للمجتمع الاشتراكي (الملكية الاجتماعية الاشتراكية لوسائل الانتاج) عن الاساس الاقتصادي للمجتمع الرأسمالي، ولهذا السبب، من غير الممكن البتة، ان تنشأ علاقات الانتاج الاشتراكية من تلقاء ذاتها في قلب المجتمع الرأسمالي(٣٧).

وهنا بالضبط ينحصر التمايز الاساسي ما بين الثورة "السياسية البرجوازية"، والثورة "السياسية البروليتارية"(٣٨)، حيث ان الاولى تنجز على اساس علاقات الانتاج الرأسمالية، والتي سبق وان نشأت وتطورت بهذه الدرجة او تلك في احشاء المجتمع الاقطاعي القديم، والثورة السياسية البرجوازية تقوم ليس من اجل خلق علاقات الانتاج الرأسمالية بل من اجل فتح المجال الرحب لتطورها من خلال ازالة العوائق والعقبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعترض طريق تطورها في المجتمع الاقطاعي، وبهذا المعنى تشكل الثورة السياسية البرجوازية نوعاً من استكمال عملية مولد الرأسمالية.

اما الثورة السياسية البروليتارية فانها دائماً وابداً تسبق عملية نشوء وانبثاق علاقات الانتاج الاشتراكية، لان انتصار الثورة السياسية البروليتارية، وظفر الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين وسائر الكادحين بالسلطة السياسية هو الشرط الاساسي الاول لازالة اسس المجتمع القديم - الرأسمالي من جهة، واقامة اسس المجتمع الجديد - الاشتراكي من جهة أخرى.

خلاصة القول ان النظريات الاصلاحية من كل شاكلة وطراز، وفي كل زمان ومكان، وما يسمى الاشتراكية "التعاونية الشعبية"، والفكرة التي تزعم بـ "امكانية تحويل الراسمالية بواسطة التعاون في ظل سيطرة النظام الرأسمالي" ليست محض خرافة وحسب بل ربما تؤدي الى تخدير الطبقة العاملة وسائر الكادحين، وتشويش وعيهم الطبقي، وصرف نظرهم عن ضرورة النضال السياسي من اجل التحرر الاجتماعي.

الهوامش

(٢٣) د. عمرو محي الدين، التخلف والتنمية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥، ص ٢٢، ٢١١.

(٢٤) د. كاظم حبيب، مفهوم التنمية الإقتصادية، ١٩٨٠، مصدر سابق.

(٢٥) د. رمزي زكي، "ملاحظات حول إستراتيجية التنمية في البلدان المتخلفة"، مجلة الكاتب، عدد (٩٠)، ١٩٨٧، ص ١١.

(٢٦) د. عمرو محي الدين، التخلف والتنمية، مصدر سابق، ص ٢٠٦.

(٢٧) د. عارف دليلة، "بحث في الإقتصاد السياسي... للتخلف والتقدم والنظام الاقتصادي العالمي"، دار الطليعة - بيروت، الطبعة الثانية، تشرين الاول (اكتوبر)، ١٩٨٧، ص ١٥٨.

(٢٨) اعتمدنا في تحليل هذه الموضوعة على المصدر السابق.

(٢٩) المصدر السابق، ص ١٩٢.

(٣٠) المصدر السابق، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٣١) المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٣٢) المصدر السابق، ص ٢٠٨، ٢٢٥.

(٣٣) المصدر السابق، ص ١٨٢.

(٣٤) د. سمير عبدالله، الوضع الإقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة"، في كتاب "المجتمع الفلسطيني... اربعون عاماً على النكبة وواحد وعشرون عاماً على احتلال الضفة والقطاع، مركز إحياء التراث العربي، ١٩٩٠.

(٣٥) لينين الدولة والثورة، دار التقدم - موسكو، الترجمة العربية، الياس شاهين، بدون تاريخ، ص ١٠١ وما بعدها، وانظر ايضاً غينادي بيلوف "ما هي الدولة؟"، دار التقدم - موسكو، الترجمة العربية، ١٩٨٧.

(٣٦) اوسكار لانجه، "مسائل الإقتصاد السياسي للاشتراكية"، مصدر سابق، ص ١٥ - ١٦.

(٣٧) كاشين، تشيركاسوف - ما هي الفترة الانتقالية؟ دار التقدم - موسكو، ١٩٨٨، ص ٢٦-٢٧.

(٣٨) اوسكار لانجه، مسائل الاقتصاد السياسي للاشتراكية، مصدر سابق، ص ٣١.

المراجع باللغة العربية

١- لينين فلاديمير ايليتش - المختارات، المجلد ٢، دار التقدم، موسكو ١٩٧٦.

٢- لينين فلاديمير ايليتش - المختارات، المجلد ١٠، دار التقدم، موسكو ١٩٧٨.

٣- لينين فلاديمير ايليتش - الدولة والثورة، دار التقدم، موسكو، بدون تاريخ.

٤- بليماك - وصية لينين السياسية، دار التقدم، موسكو ١٩٨٩.

٥- ترابيزنكوف، سرغي - اللينينية والمسألة الزراعية الفلاحية، المجلد ١، الجزء الاول، دار التقدم موسكو ١٩٧٧.

٦- سيرايف - مؤلف لينين "حول التعاون"، دار التقدم موسكو ١٩٨٥.

٧- بوبوف، يوري - دراسات في الاقتصاد السياسي: الامبريالية والبلدان النامية، دار التقدم، موسكو ١٩٨٤.

٨- بوبوف، يوري - دراسات في الاقتصاد السياسي: الاشتراكية وقضايا التوجه الاشتراكي، دار التقدم، موسكو ١٩٨٥.

٩- حبيب، كاظم - مفهوم التنمية الاقتصادية، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٠.

١٠- كرم، انطونيوس - إقتصاديا التخلف والتنمية، مركز الانماء القومي، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩١.

١١- بتلهايم، شارل - التخطيط والتنمية، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٨.

١٢- زكي، رمزي - "ملاحظات حول إستراتيجية التنمية في البلدان المتخلفة"، مجلة الكاتب، عدد (٩٠)، ١٩٨٧.

١٣- محي الدين، عمرو - التخلف والتنمية، دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٥.

١٤- دليلة، عارف - بحث في الاقتصاد السياسي للتخلف والتقدم والنظام الاقتصادي العالمي، دار الطليعة - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٧.

١٥- المجتمع الفلسطيني... اربعون عاماً على النكبة وواحد وعشرون عاماً على احتلال الضفة والقطاع، مجموعة مؤلفين، مركز إحياء التراث العربي، ١٩٩٠.

١٦- لانجه، اوسكار ومجموعة من الاقتصاديين البولونيين - مسائل الاقتصاد السياسي للاشتراكية، دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٢.

١٧- نيكتين - اسس الاقتصاد السياسي، دار التقدم، موسكو ١٩٧٤.

١٨- كاشين، تشيركاسوف - ما هي الفترة الانتقالية؟، دار التقدم، موسكو ١٩٨٨.

١٩- فيليكس فولكوف، تاتيانا فولكوفا - ما هي القيمة الزائدة؟ دار التقدم موسكو ١٩٨٨.

٢٠- سمارة، عادل - نحو نموذج تنموي مقترح للمناطق المحتلة، مركز العمل التنموي، القدس ١٩٩٠.

٢١- سمارة، عادل - التنمية بالحماية الشعبية، مركز الزهراء للدراسات والابحاث، القدس ١٩٩٠.

لاول مرة في الامارات

دشاديش مقاومة للماء

اعلنت احدى الشركات اليابانية الرائدة لتصنيع الانسجة والاقمشة مؤخرا ان مجموعة مبتكرة من قماش الدشاديش المقاومة للماء ستتوفر لاول مرة في دولة الامارات المجموعة الجديدة من الاقمشة ستصبح متوفرة في محلات مختارة عن طريق شركة رائدة لتزويد الاقمشة في الخليج، واعلن مدير التصدير في الشركة المنتجة خلال مؤتمر صحفي عقد في فندق «شيراتون» بمناسبة تقديم القماش الجديد الذي اطلق عليه اسم «ماجيك» ان هذا القماش المقاوم للماء المصنوع بتقنيات حديثة لن يتبلل او يتلطخ في حالة انسكاب الماء او الكوكولا او العصير عليه «وكل ما عليك عمله هو مسح السائل وسيعود القماش كما كان عليه من قبل».

التـــــربيـــــة الجنسيـــــة

يوسف أبو سمرة

أستاذ مساعد في دائرة التربية وعلم النفس/ جامعة بيرزيت

الجنس لا يولد مع نضج الاعضاء التناسلية أي أن وجوده ليس مرتبط بفترتي المراهقة والبلوغ فهو موجود كطاقة عامة منذ الطفولة المبكرة.

(فرويد).

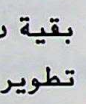

فالتربية الجنسية بناء على ذلك هي تربية لطاقة الحب الكامنة في الانسان من هنا فأن أسئلة الطفل الجنسية طبيعية وعفوية. فأسئلته عن اعضاء جسمه أو عن الحياة والموت انما تأتي لاشباع دافع حب الاستطلاع والمعرفة لديه. وهذا ضروري لنمو نشاطه الذهني بالمقابل فان أي منع للمعلومات عنه أو اعطائه معلومات خاطئة او حتى التهرب من اجابته يحد من معرفته ويعطل بالتالي قدرته على التفكير والتساؤل في قضايا وجوده الخاصة وقضايا الوجود عامة، مما يسهل وقوعه في اضطرابات سلوكية.

ومن الاسئلة التي يطرحها الاطفال عادة:

من أين يأتي الطفل؟

كيف يولد الطفل؟

وهناك احصائية تشير الى أن معظم الآباء والأمهات لا يعطون اجابات صادقة على مثل هذه الاسئلة ففي فرنسا مثلا ١٥٪ فقط يجيبون على الاسئلة وقد وصلت هذه النسبة الى ١٤٪ في امريكا و١٢٪ في لبنان هذا وتبدو على الوالدين مظاهر الحيرة والارتباك امام اطفالهم وهذا يعود في رأينا الى:

- الاباء أنفسهم لم يتلقوا تربية جنسية.
- نظرتهم لموضوع الجنس غير واضحة وغير علمية يشوبها التناقض، فهم ما زالوا يرون موضوع الجنس موضوعا غريباً ومصدر قلق وخوف يخلطونه بالخلاعة واللا اخلاقية اي ان الجنس لم يتخذ موقعا له بعد ضمن كيانهم الشخصي. ففي عقلهم الباطن (اللاشعور) الجنس مرتبط بمشاعر سلبية.
- لم يعترف مثل هؤلاء الوالدين بوجود حياة جنسية عند الطفل.

ان التهرب من اعطاء اجوبة على أسئلة الطفل أو اعطاء اجابات عامة ومغلوطة تعمل على تشويه دافع الجنس وتفريغه من محتواه الانساني وتؤدي بالطفل الى كبت دوافعه الجنسية مما يؤدي الى عزلها عن بقية دوافعه ورغباته وبالتالي الى تعطيل تطوير ونضج دوافعه عامة وبناء شخصيته مما يبقيها على وضعها البدائي والغريزي الخام الذي لا يعرف قاعدة سوى الاشباع الفوري اللامشروط حيث يبتعد عن العلاقة الجنسية الناضجة التي تتكامل فيها الرغبة والعاطفة وتصبح فيه العلاقة آلية يلجأ لها في حالات الاحباط والنزوة دون بعدها الانساني والاجتماعي.

هذا وقد يتهرب الوالدين من الاجابة بطريقة غير مباشرة حيث تفرض طبيعة الجو السائد والعلاقات غير الديمقراطية داخل الاسرة على الطفل بأن لا يطرح مثل هذه الاسئلة حيث يبرر الاباء عدم خوضهم في هذا الموضوع الحساس بأنه لا يوجد عندهم مشاكل من هذا النوع في البيت.

وهذا لا يمنع الطفل من التعبير عن رغبته في التعرف على جسمه وعلى عالمه وعلى الآخرين عن طريق اللعب بأعضائه الجنسية أو ممارسة ألعاب اجتماعية - جنسية مثل لعبة الطبيب والمريض أو لعبة

العرس أو الماما والبابا.

ان الاستمرار في اعتبار المعرفة الجنسية من المحرمات واتخاذ الكبار والسلطة بوادر قمعية في رفض كل فضول واستفهام ودوافع رغبات جنسية سلوكية او كلامية عند الطفل الصغير تعمل الى اشاعة جو من الكبت والاحباط وعدم الثقة داخل الاسرة وداخل المجتمع، فلا غرابة اذن ان نرى ازدياد العنف من حولنا في هذا العالم بين فئتي الاطفال والمراهقين.

وحتى في حالة مجتمعنا التقليدي رغم اضفاء الشرعية على الممارسة الجنسية والمتمثلة بالزواج التقليدي فان هذا لا يبدل كثيراً من نظرة المجتمع الى السلوك الجنسي.

هذا وسنستعرض عناصر التربية الجنسية خلال مرحلتي الطفولة الأولى والثانية:

الأولى من سن ٣-٦ سنوات: أسئلة الطفل في هذه المرحلة تتركز على

- اصل الاطفال (الحمل والولادة)
- الفروق الجسمية بين الجنسين (الأم والأب)

أما الاجابة فيجب أن تأخذ بعين الاعتبار:

- الاعتزاز بانتماء الطفل لجنسه ذكر كان أم أنثى.

فرجولة الأب لا تنفي وجود صفات أنثويه لديه مثل، الحنان والرقة.

وأنوثة الأم لا تنفي وجود صفات متعارف عليها بأنها ذكرية لديها مثل: الاستجابة.

- التركيز على عاملي التمايز والتكامل بين الجنسين فالقضية ليست قضية زيادة أو نقصان في صفة تعطي التفوق او التخلف لواحد على الآخر.
- اعطاء امثلة عن كيفية التكاثر لدى النباتات والحيوانات ودور الطبيب في عملية الولادة..الخ.

الثانية من سن ٦-١٢ سنة: في هذه المرحلة يعيش الطفل مرحلة الكمون الجنسي اي ان اهتمامه المباشر بالجنس يقل كما تقل أسئلته ولكن اهتمامه غير المباشر لا يقل ولكن دور التثقيف الجنسي يقع هنا على مؤسسات اخرى مثل المدرسة والنادي ووسائل الاعلام بالاضافة الى البيت.

ولكن وللأسف معظم وسائل الاعلام تقود بدور غير ايجابي في هذا المجال فعناوين الصحف والمجلات مشبعة بالمعطيات الجنسية فمع غزارة هذه المعلومات من الناحية الكمية الا انها فارغة وسلبية من الناحية الكيفية فهي تأتي مجزأة مبعثرة وناقصة ومشوهة.

أما فيما يتعلق بالاعلانات والدعايات فهي تقدم الجنس بطريقة عدوانية ومعلقة كسلعة تجارية وللأغنياء فقط.

كل هذ الصور للجنس بعامة وللأنثى بخاصة تثير لدى الطفل مشاعر متناقضة مزيج من الخوف والقلق والانجذاب.

أما الاجابة في هذه المرحلة فيجب أن تأخذ في عين الاعتبار:

- الانطلاق من معرفة الطفل السابقة عن الموضوع.
- الاجابة ضمن معرفته هذه دون شرح بيولوجي معقد.
- أن يكون اعلامنا الجنسي للصغير متكاملاً ومستمراً.
- ويركز على جوانب حياة الزوجين العاطفية والانفعالية وعلاقتهما المتميزة بالثقة المتبادلة وما ينشأ عن ذلك من سعادة ورغبة متمثلة في الانجاب.
- الابتعاد عن أسلوب اعطاء النصائح والوعظ والارشاد.
- عدم اللجوء الى الاجابات المتزمته ولا المتحررة سطحياً هذا ويجب ان يكون الاسلوب التربوي المتبع مرناً قابلاً للتغيير والتعديل بما يتناسب والعمر الزمني من ناحية وطبيعة الطفل من ناحية أخرى.

لعبة الموت

ذكرت المعلومات الواردة من بريطانيا أن طفلاً عمره ١٢ عاماً، حاول ان يمزح مع بعض أصدقائه بتقليد عملية الشنق... فلقد حشر رأسه في عقدة من حبل غليظ في إحدى الحدائق ثم نادى على أصدقائه لكي يشاهدوا لعبة الشنق التي سيقوم بها ولكن فجأة انزلق الطفل فضغطت عقدة الحبل على عنقه ومات شنقاً وقد بذل أصدقاؤه محاولات لفك العقدة ولكن عبثاً ما كانوا يحاولون، فلقد مات الطفل وتحولت المسرحية الكوميدية إلى مسرحية تراجيدية.

صلاح الدين الايوبي كما يروي سيرته مؤرخو عصره

دراسة: أحمد شلبي *

يحتفل العالمان العربي والاسلامي هذه السنة بذكرى مرور ٨٠٠ سنة على وفاة صلاح الدين الايوبي، وهو الذي وضع المسمار الاخير في نعش الاحتلال الصليبي للمنطقة الذي استمر زهاء قرنين من الزمن.

وتتخذ الحروب الصليبية، والانتصار الاسلامي النهائي عليها، ابعاداً معاصرة في ضوء المستجدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها المسلمون حاليا. ولعل في الماضي عبرة تساهم بانارة معالم الطريق في غياهب الظلام المعشعش على أمتنا هذه الايام.

في كلامنا عن صلاح الدين ينبغي ان نبدأ بدراسة مقتبسة من Emerton (١) وفيها مقارنة دقيقة بين صلاح الدين ومعاصريه من حكام الامارات اللاتينية. ويجدر بنا ان نوجز هذه المقارنة فهي اعتراف مؤرخ غربي كبير يضع صلاح الدين في مكانه العظيم من التاريخ، يقول:

«بعد الحرب الصليبية الثانية مرت فترت لم تقم اوروبا خلالها بأي نشاط عسكري ضد المسلمين، وفي هذه الاثناء حدث اكبر حادث في تاريخ الحروب الصليبية، وهو ظهور صلاح الدين الايوبي، وبينما كان المعسكر الاسلامي يقوى بهذا البطل كان معسكر المسيحيين ينهار، فقد كانت الامارات اللاتينية تعيش في أتعس الظروف التي يخلقها النظام الاقطاعي، وعاد المحتلون الى الدعة يوماً بعد يوم، ونسوا ما تتطلبه حياتهم كغاصبين من مهام ومسؤوليات. اما المعسكر الاسلامي فقد حصل في هذه الاثناء على مكانة حققها له القائد الجديد الذي كان اعظم شخصية عرفها عصر الحروب الصليبية، ليس فقط في بطولته الحربية بل في صفاته الشخصية التي تضعه في القمة بين العظماء والمصلحين. لقد كان صلاح الدين يعرف اهدافه الحربية ويجيد التخطيط لها، وكان من رعاة العلوم والمعارف، وكان مثالاً طيباً في الوفاء بالوعد والشهامة والكرم، وعلى النقيض من كفاءته وصفاته، كان يتسم معاصروه من حكام الولايات اللاتينية، الذين كانوا همجاً وبرابرة.

وفي مطلع عهد صلاح الدين كانت المشكلات جمة حوله، ولذلك اتجه صلاح الدين الى مهادنة الصليبيين، فظهر في سياسته معهم نوع من المسالمة، ولكن هذه السياسة قوبلت من الصليبيين بالتحدى وبروح متعصبة، وفي حالات كثيرة نقضوا المعاهدات بينهم وبين صلاح الدين، وكأنما كان صلاح الدين في انتظار هذه الاحداث التي كان يعد لها العدة منذ امد طويل، فانقلبت العلاقة السلمية الى حرب ضروس بدأها الفرنجة، وكان هجومهم الاول قوياً عاتياً حاولوا خلاله الاستيلاء على بعلبك وغزو دمشق، وحقق الفرنجة في هذه الجولة بعض الانتصارات، فهزموا جند صلاح الدين وأسرو قائده، واسرع صلاح الدين من مصر

---

* باحث مصري متخصص في الشؤون الاسلامية.

لمعاونة جيشه في فلسطين، ولكنه اخذ يعد للأمر عدته فكون جيشاً كبيراً حشد له المؤن والذخيرة، كما كون جيوشاً اضافية عين لها كبار القواد والابطال، وسارت هذه الجيوش تدك الارض، وسار جيش صلاح الدين فحاصر قلعة يعقوب في سهل بانياس، وهي من اقوى قلاع الفرنجة، ومنها كانت المؤن والذخائر ترسل الى جيوش الفرنجة هنا وهناك، فكان حصارها معناه ايقاف الامدادات عن جيوش الفرنجة، وسار احد جيوش صلاح الدين بقيادة فروخ شاه ابن اخيه لمقابلة بلدوين الرابع الذي حاول دخول دمشق، وأنزل فروخ شاه بجيش الفرنجة هزيمة ساحقة، وسقط بلدوين جريحاً وكان على وشك أن يقع أسيراً، وارسل صلاح الدين جيوشاً اخرى لتهاجم الفرنجة في بيروت وصيدا، ثم اشتد صلاح الدين في حصاره لقلعة يعقوب، وضيق عليها الخناق حتى أسقطها وأسر من فيها وأمر بهدمها. وادرك الفرنجة أن لا أمل في هذا الصراع، فراحوا ينشدون الهدنة من جديد، ووافق صلاح الدين على مهادنة بعضهم، وظل في صراع مع بعضهم الآخر ليفرق بين جموع الفرنجة من جهة، ليردع الذين خانوا الهدنة السابقة من جهة أخرى.

ومما دفعه الى قبول الهدنة مع بعض الفرنجة، ان احداثاً جدت في العالم العربي آنذاك وكان لا بد ان يتفرغ لها صلاح الدين، ومن اهمها ان يضم الموصل وحلب بعد وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين، ولما انتهى صلاح الدين من تحقيق اهدافه في العالم العربي عاد من جديد الى النضال مع الفرنجة، وساعده على ذلك ان أمير الكرك الصليبي نقض المعاهدة التي كانت بين امارته وبين صلاح الدين، والعجيب ان يحافظ الجانب القوى على شروط الهدنة، ولا يحافظ عليها الجانب الضعف. فقد قام الصليبيون ببعض الاعمال الطائشة، إذ جهزوا اسطولاً يعبث في شواطىء الحجاز ويهاجم الحجاج المسلمين، كما دأبو على مهاجمة القوافل وسلب متاعها وأسر افرادها، وحدث في احدى هذه الغارات ان اسرت اخت صلاح الدين وكانت مسافرة في احدى القوافل، وكان ذلك بمثابة الشرارة التي اضرمت النار وأدت الى موقعة حطين الشهيرة.

موقعة حطين

تعتبر موقعة حطين من اشهر المعارك في تاريخ العالم، وقعت في الثالث والرابع من تموز (يوليو) ١١٨٧م، وحطين سهل جبلي بالقرب من بحيرة طبرية المجاورة لبيت المقدس، وكان عسكر الافرنج يتكون من عشرين الفاً بقيادة ملك بيت المقدس ده لوسينيان، ورجلند (ارناط) امير قلعة الكرك، وفضى المسلمون على هذا الجيش كله، فسقط بعض رجاله قتلى ووقع الباقون في الأسر، وكان ملك بيت المقدس وأمير قلعة الكرك بين الأسرى.

وهذا بعض ما جاء في المصادر العربية عن معركة حطين: يصف الأفضل علي بن الناصر صلاح الدين موقعة حطين فيقول:

«كنت الى جانب ابي في ذلك المصاف، وهو اول مصاف شاهدته، فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة، حملوا حملة منكرة على من بازائهم من المسلمين حتى ألحقوهم بوالدي، فنظرت اليه وقد علته كآبة، واربد لونه، وأمسك بلحيته وتقدم وهو يصيح: كذب الشيطان، فعاد المسلمون على الفرنج، فرجعوا فصعدوا على التل، فلما رأيت الفرنج قد عادوا، والمسلمون يتبعونهم، صحت من فرحي، هزمناهم .. هزمناهم: فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الاولى، حتى ألحقوا المسلمين بوالدي، وفعل هو مثل ما فعل اولاً، وعطف المسلمون عليهم فألحقوهم بالتل فصحت أنا: هزمناهم .. هزمناهم فالتفت اليّ والدي فقال: اسكت، ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة - اي خمية الملك - فهو يقول ذلك وإذا الخيمة قد سقطت، فنزل السلطان وسجد شكراً لله تعالى، وبكى من شدة الفرحة».

وقد حدث ان استسلم من نجا من القتل من الصليبيين ونزلوا عن دوابهم وجلسوا على الارض، فصعد المسلمون اليهم، واستولوا على خيمة الملك ومن بها، وأسروا الجنود الاحياء عن بكرة ابيهم.

فمن شاهد القتلى في ذلك اليوم، قال ما هناك اسير، ومن عاين الأسرى قال: ما هناك قتيل .. وتمت هذه النصرة يوم السبت، وضربت ذلة اهل السبت على الاحد.

استعرض الناصر صلاح الدين بعد ذلك كبار الاسرى بعد ان صلى لله تعالى صلاة الشكر على نعمة النصر، وأجلس ملك المقدس الصليبي بجانبه وأذن له بشربة ماء مثلوج، وأجلس أرناط - ارنولد - رينالد امير الكرك بجانب الملك، وهو ينوي تنفيذ نذره فيه، لمساءاته السابقة وشدة عناده فلم يكن في الفرنج اشد عداوة منه.

ولما ناول الملك كأس الماء الى رجلند، قال له صلاح الدين: لم آذن لك في سقيه الماء (حتى لا يوجب ذلك أماناً له).

وأخذ الناصر صلاح الدين يذكّر ارنولد بجرائمه، ويسأله كم تحلف وتنكث ؟ ثم أمر بنقل الاسرى الى موضع عيّنه لهم. وأحضر ارناط (ارنولد) وقال له: هانذا أنتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم. فقد كان ارنولد عندما غدر بالقافلة القادمة من مصر الى الشام قال لها: قولوا لمحمد يخلصكم ...

وعرض صلاح الدين الاسلام على ارنولد فأبى، فاستل التمنجاه (خنجر مقوس يشبه السيف القصير) من وسطه وضربه بها فحل كتفه وأجهز عليه من كان عنده من الخدم، وقال الناصر: كنت نذرت دفعتين أن

أقتله إن ظفرت به، إحداهما لما اراد المسير الى مكة المدينة والثانية لما أخذ القافلة غدراً(٢).

ويعلق Emerton على هذه الموقعة بقوله: «انها وضعت سلطة الحياة والموت في يد صلاح الدين، ولكنه استعمل هذه السلطة في اضيق الحدود، وظهر الفرق جلياً بين معاملة صلاح الدين للفرنجة ومعاملة الفرنجة للمسلمين التي حدثت قبل ذلك بثمانية وثمانين عاماً. والموقف الصارم الوحيد الذي وقفة صلاح الدين كان مع ارنولد الذي وصفه المؤرخون بأنه كان مغامراً أهوج، حتى لقد أنزل قواه مرة على ارض الحجاز المقدسة، وشاع انه كان ينوي نقل جثمان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى الكرك، وان يفرض رسوماً فادحة على حجاج المسلمين، ولم يصده عن هذا إلا فرقه مصرية نقلت الى هناك على جناح السرعة في أسطول جهز بعجلة، ولهذا ولسواه أقسم صلاح الدين ان ينحره بيده، وقد حان آنذاك الوقت للبر بالقسم، وقد حاول ارنولد النجاة فشرب الماء في خيمة صلاح الدين معتقداً ان التقليد العربي يؤمن من أكل طعام المضيف او شرب ماءه، ولكن صلاح الدين اجاب بأن هذا لا يؤمنه لأن الماء طلب ولم يقدم، وهوى صلاح الدين بالسيف على عنق هذا الطاغية، وقد ارتعد ملك بيت المقدس آنذاك، ولكن صلاح الدين رد الامان الى نفس الملك بقوله: ان الملك لا يقتل الملك» (٣).

ومن مآثر موقعة حطين انها كانت المعركة الحقيقية التي دمرت قوى الصليبين، كما انها جعلت اسم صلاح الدين شديد الرهبة، واصبح يحمل معنى الموت الزؤام للصليبين، فلم يعد سهلاً على جيوشهم ان تقابله، ولم يعد عيباً ان تستسلم الجيوش له، وقد انتهز صلاح الدين هذه الفرصة فراح يجني ثمار جهاده الناجح في موقعة حطين.

اتجه صلاح الدين الى حصن طبرية فاستسلم له، وسار الى عكا فاحتلها واقام فيها قليلاً، ومنها ارسل الجحافل فاستولت على الناصرية وقيسارية وحيفا، ثم اتجه الى صيدا فاستولى عليها، وواصل سيره الى بيروت فاستسلمت له بعد حصار قصير، وهكذا سقطت في يده كل المدن الكبرى وكل القلاع (٤).

تحرير بيت المقدس

حاول صلاح الدين ان يدخل المدينة المقدسة صُلحاً لما لها من مكانة روحية في نفوس المسلمين وحرصاً على ان تسلم من دمار الحرب، ولكن القدس كانت اصبحت اقوى حصون الفرنجة، اذ هرب اليها كل من نجا من المعارك السابقة، او أفلت من حصار، او خرج من المدن والقلاع التي استسلمت او فتحت عنوة، ثم إن امير الرملة (باليان دي ابيالين) كان اسيراً في يد صلاح الدين منذ سقوط الرملة، وكانت اسرته في القدس، فاستأذن باليان ان يذهب الى القدس لإحضار اسرته واقسم ان يبر بوعده ولا تطول إقامته، ولما وصل باليان استقبله جند الفرنجة واحاطوا به، فقد كان القائد الذي ينشدونه ليقودهم في الدفاع عن العاصمة المقدسة، واغراه الفرنجة بحنث عهده مع صلاح الدين فاستجاب لهم، واستكملت المدينة به عدتها للصراع.

احاط صلاح الدين بالمدينة واتخذ جبل الزيتون مركزاً لجيوشه، وهناك نصب المجانيق وأخذ يلقي على أسوار المدينة وابلا من الحجارة، ففر المدافعون واحتموا بالاسوار الضخمة وبذلك تقدم المسلمون من الاسوار واخذوا يثقبونها تحت وابل من السهام المتبادلة بين المهاجمين والمدافعين، واتضح للفرنجة ان النصر سيحالف العرب كما حالفهم من قبل ويئسوا من تحقيق اي انتصار في ضوء ما رأوه من استماتة العرب والمسلمين، وبهذا مال هؤلاء الى الصلح وطلبوه واتفق الطرفان على ان يخرج الفرنجة سالمين من المدينة في مدى اربعين يوماً، وان يدفع الرجل منهم عشرة دنانير والمرأة خمسة، والصبى دينارين، ووفى المسلمون بهذا الوعد متناسين الدماء الغزيرة والارواح الكثيرة التي أزهقها الفرنجة يوم انتصارهم في بيت المقدس منذ حوالي تسعين عاماً، وكان ضمن من خرج طبقاً لهذه الشروط البطريرك الاكبر يحمل اموال البيع وذخائر المساجد التي كان الصليبيون غنموها في فتوحاتهم، وقال بعض المسلمين لصلاح الدين: إن هذا البطريرك يقوى بهذا المال على حرب المسلمين. فأجاب صلاح الدين: الاسلام لا يعرف الغدر، لقد أمناه وعلينا الوفاء وخرج الرجل بهذا الثراء ويروى ان مجموعة من النبيلات والاميرات قلن لصلاح الدين وهن يغادرن بيت المقدس: «أيها السلطان، لقد مننت علينا بالحياة، ولكن كيف نعيش وازواجنا واولادنا في اسرك؟ واذا كنا ندع هذه البلاد الا الأبد فمن سيكون معنا من الرجال للحماية، والسعي للمعاش؟ ايها السلطان هب لنا أزواجنا واولادنا فانك إن لم تفعل أسلمتنا للعار والجوع».

فتأثر صلاح الدين بذلك، وكأنما أحس ان من واجبه ان يحمي هذه الاعراض من قسوة الطغاة فوهب لهن رجالهن، واضاف بذلك جديداً على شهامته وعلوّ نفسه.

ويقرر: Stanley Lane Pooie في كتابه «مصر في العصور الوسطى» ان كثيراً من الفرنجة الذين سقطت قلاعهم وبلادهم راحوا يطرقون ابواب المدن التي كانت لا تزال في ايدي الفرنجة، لكن هذه المدن اقفلت ابوابها في وجوههم، وقد عبر بعضهم البحر الى اوروبا

وكثيرون منهم اندمجوا في غمار الحياة في ظل الاسلام فوجدوا رعاية طيبة وترحيباً كريماً، اما المسيحيون العرب فقد عادوا في ظل صلاح الدين للعيش الهنيء الذي ضمنه لهم الاسلام في ما ضمن من حقوق لغير المسلمين في المجتمع الاسلامي.

ومع التشابه في الهدف بين الحرب الصليبية الاولى والثالثة فان هناك خلافاً واضحاً بين الحربين في نواح اخرى:

- كان البابا هو رائد الحرب الصليبية الاولى ولكن الحرب الثالثة كانت بقيادة رجال السياسة.

- تقابلت في الحرب الاولى جيوش متحدة في الغرب مع قوى متخاذلة متفككة في الشرق، اما في الحرب الثالثة فقد كان الامر بالعكس.

- كان الدين من اهم الدوافع التي بعثت بالغربيين الى الحرب الاولى، اما في الحرب الثالثة فقد حمل بعض الغربيين السلاح واشتركوا فيها هرباً من الضريبة التي فرضت على كل من لم يأخذ فيها بنصيب.

فابتداء من الحملة الصليبية الثانية فرض لويس السابع ضريبة بمقدار العشر على جميع المنقولات، يدفعها من لم يسهم في الحروب الصليبية، وفرض فيليب اوغسطس وريتشارد قلب الاسد ضريبة عشور على رجال الدين والعلمانيين جميعاً للمساعدة في الحروب الصليبية، ولذلك سميت هذه الضريبة «عشور صلاح الدين»(٥).

واتجهت الكنيسة كذلك الى جمع ضرائب باسم الحروب الصليبية، ففي اواخر القرن الثاني عشر اعلنت البابوية انه يجوز لمن لا يقوى على المشاركة بنفسه في الحروب الصليبية ان يتبرع بمبلغ من المال يسهم به في سير هذه الحروب، والمتبرع بذلك تغفر ذنوبه كالذي شارك بنفسه في الحروب، وكذلك البابوية تمنح لدافع المال صكاً بذلك، وتطورت هذه الصكوك فاصبحت «صكوك الغفران» التي ظلت البابوية تعتمد عليها كمورد مهم من مواردها المالية، بعد فشل الحروب الصليبية.

وتولى قيادة الحرب الثالثة ملوك اوروبا الكبار وهم: فريدريك بربروسا امبراطور المانيا، وريتشارد قلب الاسد ملك انكلترا، وفيليب اغسطس ملك فرنسا، وكان فريدريك اكثرهم نشاطاً وحماسة. وأخذ طريق البر، فغرق وهو يعبر نهراً في ارمنينا بالقرب من الرها، وانتهز جيشه هذه الفرصة فعاد من حيث جاء ولم يتبع ابنه الى المعارك الا عدد ضئيل، اما الجيشان الانكليزي والفرنسي فاتخذا من اوروبا طريق البحر، وتقابلا في صقلية حيث امضيا الشتاء وفي خلال هذا الاجتماع دب الشقاق بين القيادتين، فابحر كل منهما وحده، واتجه ريتشارد الى قبرص واستولى عليها في طريقه الى فلسطين واتجه فيليب مباشرة الى فلسطين فحاصر عكا بمساعدة من تبقى من جنود فريدريك، وانضم الى الحصار اللاتين المقيمون في سورية بقيادة الملك غي مع انه كان اقسم لصلاح الدين الا يعود الى شهر السلاح في وجهه.

صراع حول عكا وسقوطها

واتجه صلاح الدين الى المعركة، وظهر ان كفته سترجح، فاستنجد الصليبيون بريتشارد فهرع اليهم، وشهدت معركة عكا اقوى هجوم من الصليبيين واقوى دفاع من صلاح الدين، واظهر المسلمون الواناً من التضحيات والبطولة، كما اظهر الصليبيون صوراً من الشجاعة، اذ عد الملوك الكبار هزيمتهم ضربة تهدد اوروبا بالفناء ورجحت كفة الصليبيين بسبب بحريتهم القوية وسيطرتهم على المرفأ، مما ادى الى استسلام المدينة مقابل شروط اهمها الا يتعرض الصليبيون لقوة الدفاع بسوء مقابل فدية باهظة، ولما توانى المسلمون في تقديم الفدية فتك الفرنجة بأسراهم، فدل هذا التصرف على ان اسلوب اوروبا هو لا يتغير في كل زمان ومكان.

ولم يكن سقوط عكا كافياً لتثبيت الصليبيين في فلسطين، وظهر انه ليس في مقدورهم الحصول على فتوحات اخرى، ومل ريتشارد الحرب، وخاف على ملكه البعيد، فجرت مراسلات ومشاورات بين الطرفين اوردها ابن شداد، ونقتبس منه اهم ما جاء فيها:

كتب ريتشارد الى صلاح الدين يقول: «ان المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت ديارهم وتلفت الاموال والارواح، وليس هناك حديث سوى القدس والصليب، والقدس متعبدنا ما ننزل عنه، والصليب خشبة عندكم لا مقدار له، وهو عندنا عظيم، فيمن به السلطان علينا ونستريح من هذا العناء».

فأجاب صلاح الدين: «القدس لنا كما هو لكم، وهو عندنا اعظم مما هو عندكم، انه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة. فلا يتصور ان ننزل عنه، واما البلاد فهي لنا واستيلاؤكم كان طارئاً عليها لضعف المسلمين، واما الصليب فهلاكه عندنا قُربة عظيمة فلا يجوز ان نفرط فيه الا لمصلحة اوفي منه».

صلح الرملة

وظلت المراسلات والمشاورات مدة طويلة وانتهت بعقد صلح الرملة في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١١٩٧ ترك للفرنجة فيه قطعة ضيقة من الساحل في جوار عكا تمتد من صور حتى حيفا، وتسمح لحجاجهم بزيارة الاماكن المقدسة عزلاً من السلاح، واحتفظ صلاح الدين بفتوحاته في اللد والرملة وعسقلان كما

احتفظ بداخل البلاد وانتهت بذلك الحرب الثالثة.

ويذكر EMERTON ان السبب في فشل الحرب الصليبية الثالثة ان الملوك الثلاثة لم يحملوا السلاح كرجال يدافعون عن الدين انما كملوك يعملون لامجادهم الخاصة، اما ريتشارد الذي يعد احد ابطال الحروب الصليبية فانه لا يمكن ان يحمل هذا اللقب الا في حدود تفكير العصور الوسطى، فلقد كان الرجل من البرابرة الذين لا يحترمون القوانين ولا يتخلقون بسجايا رفيعة، ولذلك فان ريتشارد ان صلح كقائد عسكري لا يصلح قط حاكماً لأمة او مدير لمعركة خطيرة من هذا النوع.

نهاية صلاح الدين

مات صلاح الدين بعد الصلح بفترة وجيزة وعمره خمسة وخمسون سنة، ويقول عنه كارل بروكلمان: «والحق ان حروب صلاح الدين ضد الصليبيين قد جعلته من اشهر ملوك الشرق في اوروبا، اما في الذاكرة الشرقية فلا يزال خالداً الى جانب كبار الخلفاء والسلاطين كرمز لحقبة من اسعد حقب التاريخ، وليس من شك في ان قلة ضئيلة من امراء المسلمين كانت تضارعه من حيث تجرده عن اية نزعة للكسب الشخصي ومن حيث انصرافه الى خدمة دولته ورعاياها ليس غير، ولم يستطع اعداؤه انفسهم الا الاقرار له بالشهامة والنبل في معاملة الخصم المغلوب فليس هذا فحسب، بل كان صلاح الدين بالاضافة الى ذلك نصيراً للعلم، وقد عاش في رحابه نفر من خيرة العلماء كابن العماد الاصفهاني الذي أرخَ لفتح القدس، والقاضي بهاء الدين بن شداد الذي كتب سيرة صلاح الدين، والقاضي الفاضل.

هوامش:

١- MIDIAEVAL EU ROPE P.367

٢- ابن جبير: الرحلة، وابن شداد.

٣- مقتطفات من «الفتح القدسي» لعماد الدين الاصفهاني ومن «مخرج الكروب» لابن واصل ومن «الكامل» لابن الاثير.

٤- ابو شامة: «الروضتين» الجزء الثاني ص ٢٥ وما بعدها وبهاء الدين ابن شداد «سيرة صلاح الدين» ص ٦٠ الى ٦٥.

٥- ابو شامة: «الروضتين» الجزء الثاني ص ٧٥.

إسعاد يونس: أنني أكره نفسي!

الفنانة «إسعاد يونس» تعاني من القل والتوتر وحالة من «اللخبطة» بعد اتهامها «فنياً» بالخيانة! «إسعاد» تفكر جدياً في عرض نفسها على طبيب نفسي نتيجة لحال التوتر التي تعاني منها بسبب اشتراكها في بطولة مسلسل «السقوط في بئر سبع»، وتصف دورها بأنه «فظيع»، فهو جديد عليها لم تصادفه في حياتها وكانت تستبعده تماماً من قائمة أعمالها. تقول إسعاد: هل هناك أفظع من الخيانة؟.

لقد أصابني الدور بحالة من الاكتئاب وأرهقني نفسياً وعصبياً لدرجة أنني كرهت نفسي، وأذهب الى البلاتوه كأني ذاهبة إلى السجن، أتمنى اللحظة التي يقول فيها المخرج نور الدمرداش: فركش، حتى أخلع ثوب «أنشراح» وأعود مرة أخرى إلى «إسعاد» حبيبتي! فالمشكلة في هذا المسلسل - كما تقول إسعاد - أنه يبدأ بالمقلوب فأبطاله ليسوا أبطالاً مثل «الهجان» فهم هنا جواسيس، عملاء لإسرائيل. وهذه القضية المعروفة في ملفات المخابرات المصرية باسم قضية «إبراهيم وانشراح» من أشهر وأغرب قضايا الجاسوسية التي عرفتها مصر لأسباب كثيرة اهمها إن الزوج والزوجة سقطا في بئر الخيانة إلى درجة إنهما جندا أولادهما للعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية، ومن حظى الغريب أن يقوم أنا بهذا الدور الذي أتمنى أن ينتهي قبل أن تصيبني الست «انشراح» بالجنون!

من دراسة في أدب الأطفال في الأرض المحتلة

وسائط أدب الأطفال في الأرض المحتلة *

فايز منصور - كلية العلوم التربوية / الأزوا

يصل الأدب إلى الطفل عن طريق وسيط واحد أو عن طريق غير وسيط في وقت واحد، وأبرز وسائط هذا الأدب الكتاب والمجلات وصحف الأطفال، والإذاعة والتلفاز، والفيديو، والمسرح الأدبي ومسرح العرائس، والفيلم السينمائي، والأسطوانة وشريط المسجل.

وتقوم هذه الوسائط بدور هام في إيصال أدب الأطفال إليهم، إذ تقوم الإفادة من الإذاعة والتلفاز والفيديو على السمع والبصر، أما الكتابة والطباعة فغير هامة كأهميتها في الكتاب، ويكون التعبير في شريط المسجل بالصوت، لذلك لايحتاج الطفل إلى أي قدر من العلم بالقراءة والكتابة (٥٢)، وتحتل الصحف والجلات منزلة مرموقة في عالم الطفل والطفولة، لما تتميز به من تنوع وتعدد لفنون الأدب المنشورة في العدد الواحد من الصحيفة أو المجلة، ولما تتميز به أيضاً من تنوع الموضوعات وحداثتها مما يندرج في ثقافة الطفل (٥٣). ويقول فوميل لبيب:"إن صحافة الأطفال يجب أن تحظى بالأهمية التي تستحقها لأننا نستطيع أن نقول للأطفال كل مثلنا على هذه الصفحات الأنيقة الملونة، وتتحمل صحافة الأطفال عبئاً في إعداد جيل الغد" (٥٤).

ولعل أبرز وسائط أدب الأطفال في الأرض المحتلة الكتاب والمسرح بأنواعه المختلفة وشريط المسجل والصحف والجلات والنشرات. أما الكتاب فقد تناوله هذا البحث وسيطاً لأدب الأطفال في قضية "سمات كتب أدب الأطفال على صعيد الإخراج"، فلا داعي لإعادة طرحة ثانية، وأما الأشرطة والمسرح فسوف نرجيء الحديث عنها لحلقة أخرى من هذه الدراسة.

وهكذا فان محور هذه الحلقة من أدب الأطفال سيكون دوريات الأطفال في الأرض المحتلة، وصفحات الأطفال في الصحف اليومية والمجلات الثقافية والسياسية الاسبوعية والشهرية، والنشرات، اهتمامها بأدب الأطفال عامة، واهتمامها بالجوانب الأخرى التي تصب في مجرى ثقافة الأطفال.

١- دوريات الأطفال في الأرض المحتلة

ودوريات الأطفال هي"التي توجه أساساً لثقافة الطفل وتسليته وتنمية قدراته العقلية وملكاته الفكرية" (٥٥)، وهي الصحف اليومية أو الأسبوعية ومجلات الأطفال الأسبوعية أو الشهرية.

١.١ صحف الأطفال:

ولغاية كتابة هذه السطور لم تصدر صحيفة يومية أو أسبوعية للأطفال في الأرض المحتلة، ولكن معظم صحف الأرض المحتلة خصصت إحدى صفحاتها مرة في الأسبوع دورياً للأطفال، وتعتبر هذه الصفحات بمثابة صحف أسبوعية للأطفال، إذا تحققت فيها شروط الصحيفة الموجهة للأطفال، يقول أحد المختصين بأدب الأطفال:"توجد آراء تطالب باصدار صحف يومية للأطفال لكن ليست الحاجة ملحة لها لأعتماد الصحيفة اليومية على الخبر اليومي، ولكن المطلوب أن تخصص الصحف اليومية زاوية اسبوعية ثانية تعنى بشؤون الأطفال وأدبهم" (٥٦).

ويقف في طليعة الصحف المحليه اليومية التي خصصت صفحاتها للأطفال صحيفة (القدس) المقدسية، وتحمل هذه الصفحة عنوان (ركن الأطفال)، وقد أشرف على تحريرها فترة طويلة خليل سموم وكانت هذ الصفحة تصدر كل يوم سبت، ثم تحولت الى عدد يوم الإثنين دون إشارة الى محررها. وقد خصصت أيضا صحيفتا (الفجر) و(الشعب) اللتان توقفتا عن الصدور مؤخراً إحدى صفحاتهما للأطفال أسبوعياً للأطفال غالياً.

ويغلب على بعض هذه الصفحات طابع

* تابع للقسم الاول - أدب الاطفال في الارض المحتلة بين النظرية والتطبيق

التسلية والترفيه للأطفال ونشر صورهم، إذ تكثر فيها الابتسامات والطرائف والمعلومات على حساب الأدب محلياً وعربياً ومترجماً، وهموم الطفولة في وطننا من خلال السؤال والجواب، ومشاركة الأطفال أنفسهم في تحريرها، وعلى حساب الحكاية المسلسلة السردية والمقابلات مع الأطفال.

أما بعضها الآخر فيغلب عليه نشر أدب الأطفال العربي والمترجم على حساب الجوانب الأخرى التي يجب أن تهتم به هذه الصفحات، إذ تتضمن الصفحة أحياناً أربع أو خمس قصص وحكايات، وقلما ترد إشارات إلى مؤلفيها أو مدونيها أو اسم المؤلف أو الصحيفة التي أخذ عنها النص الأدبي، مما يحرم الطفل فرصة معرفة الكتاب أو الصفحة الأصل ومحاولة الحصول عليها فيما لو أثارت اعجابه وأحب قراءة المزيد منها.

وتكاد تفتقر هذه الصفحات إلى الأدب المحلي، فلم تقع عيناي على قصص محلية سوى قصتين، واحدة للكاتب إبراهيم جوهر بعنوان "الأزهار والعصافير" وقد نشرت في صفحة الأطفال في صحيفة القدس، عدد (١٩٩٢/١٢/١٤).

ونادراً ما يتميز خط هذه الصفحات عن خط الصحيفة، كما أن الرسومات المرفقة للقصص والحكاية ليست من ابداع رسامين محليين، فأغلبها الرسومات الأصلية المرفقة بالقصص المترجمة أو العربية.

وإنصافاً للحقيقة فقد أسهمت هذه الصفحات على الرغم من النواقص المشار إليها - في خلق عادة القراءة والمتابعة لدى عدد كبير من أطفالنا، مما يتطلب من صحفنا أن تقوم باجراء الدراسات لقياس مدى تحقق هذه العادة، ومعرفة ميول الأطفال القرائية ومعرفة الجوانب التي جذبتهم ونالت إعجابهم، أو الجوانب التي ينفرون منها لتأخذ نتائج مثل هذه الدراسات في اعتبارها في خططها المستقبلية، هذا إذا كانت الصحيفة جادّة، ويدرك القائمون عليها الدور الخطير الذي تقوم به صحافة الأطفال في تنشئة الأجيال وغرس القيم المرغوب فيها. كما ويسجل لهذه الصفحات اسهامها الكبير في اطلاع أطفالنا على نماذج من أدب الأطفال العربي والعالمي، إذ نشرت صفحة الأطفال في صحيفة (القدس)، مثلاً، حكاية أوكرانيا (١٩٩٣/٣/٨) وقصة من هاييتي (١٩٩٣/٣/١٥) وأسطورة شعبية من اليابان (١٩٩٣/٦/٢١).

وفي عددين من صحيفة (النهار) (٢و١٢/١٢/١٩٩٣) نشرت قصص قصيرة وحكايات وأشعار موجهة للأطفال لكتاب أردنيين هم أحمد عرفات وشهلا الكيالي ود.توفيق أبو الرب ومحمد جبار حسن.

٢.١ مجلات الأطفال

وقد ظهرت مجلات الأطفال في الأرض المحتلة مبكراً، إذ صدرت مجلة (البراعم) شهرية تربوية ثقافية للطلاب في العام ١٩٧١، وقد استمرت عامين، صدر خلالها واحد وعشرون عدداً فقط، وكانت محررتها المسؤولة هند الكرد. وكان مكان إصدارها مدينة القدس.

وفيما بعد صدرت مجلة (طارق) مجلة للنشىء الجديد، وهي مجلة قصصية أدبية علمية، وقد صدرت في رام الله - البيرة من عام ١٩٧١ وحتى ١٩٧٩.

وفي قطاع غزة صدرت مجلة (الطليعة) عن الشؤون الأجتماعية/وكالة الغوث، وقد كانت تصدر شهرية، وذلك في سنوات الثمانينات. كما صدرت ملاحق مستقلة للأطفال عن مجلات محلية في العامين ١٩٩١م و١٩٩٢م مثل (الطفل العربي) (٥٧) و(شفى الصغير) (٥٨)، لكنها لم تعمر طويلاً، إذ صدر من كل منهما عددان أو ثلاثة أعداد فقط.

وصدرت عدة مجلات للأطفال في الأرض المحتلة لكنها أيضاً لم تستمر طويلاً مثل: (شمس النهار) التي صدرت في العام ١٩٩٣ في رام الله - البيرة، ولعله صدر منها عددان فقط وقد تولى رئاسة تحريرها داود إبراهيم، كما صدرت مجلة في البيرة هي (زنابق)، وقد صدر منها عدد واحد فقط وقد تولى تحرير هذا العدد الشاعر والباحث علي الحريري. وهناك مجلة غير دورية تصدر في البيرة تحمل اسم (مواهب) يحررها شخص واحد هو خالد جمعة.

ولعل المجلة الوحيدة للأطفال في الضفة الغربية التي تصدر بانتظام وتحمل سمات كثيرة لمجلة الطفل النوذجية هي مجلة (غدير) التي تصدر في مدينة القدس. وفي قطاع غزة تصدر مجلة أخرى بانتظام هي مجلة (ينابيع) وقد صدر حوالي (٤٠) عدداً.

وقد حاولت هذه المجلات والملاحق المستقلة بتفاوت بينها أن تحقق عدداً من الأهداف، لعل أبرزها:

"تنمية عادة القراءة عند الأطفال الفلسطينيين، وزيادة معلوماتهم، وتذوقهم للفن والأدب، وملء أوقات فراغهم، وتربيتهم وطنياً، وبعث الروح القومية فيهم، واكتشاف مواهبهم وتنميتها ...الخ".

ولعل الأهداف السابقة هي حصيلة متابعتنا لسياسات التحرير المعلنة للمجلات والملاحق المشار إليها، ولا يعني هذه تحقق هذه الاهداف، إذ لم تجر دراسات محلية عن تحققها، كما ويحتمل تأكد تحقق ما يتعارض معها كلية.

ومع ذلك يمكننا تسجيل عدد من الملاحظات العامة على هذه المجلات والملاحق:

١. ضعف اهتمام هذه المجلات والملاحق بأدب الأطفال المحلي المختلف أجناسه سوى محاولات لم تستمر من قبل مجلة (غدير) في أعدادها التي صدرت بالتعاون

مع (اليونيسف) إذ تعرف أطفالنا على أشعار لوداد البرغوثي ومازن دويكات، وقصص لرقية العلمي وسميرة نيروخ وغيرهم. كما حوت مجلة (شمس النهار) التي صدر منها عددان قصصاً لعبد الرحمن عباد على الرغم من قناعتي أن الكاتب لم يكتب قصصهُ خصيصاً للمجلة، إذ يرجح استعارة المحرر لهذه القصص من مجموعات المؤلف القصصية الموجهة للأطفال والمنشورة في الأرض المحتلة مثل "ذاكرة البرتقال" أو "ذاكرة النخيل" ...الخ

٢. ضعف الإمكانات المادية والمالية لهذه المجلات والملاحق مما انعكس سلباً على إخراج بعضها وقلة أعدادها واستمرارها في الصدور، إذ أن معظمها لم يعمر طويلاً، كما أن بعضها صَدر غير منتظم مما أثر على فاعليتها نظراً لافتقارها للعلاقة المستمرة مع الطفل.

٣. اعتماد هذه المجلات والملاحق في موادها على مجلات الأطفال العربية والأجنبية لندرة الرسامين والمحررين المؤهلين تربوياً ونفسياً وفنياً في وطننا، إذ أن معظمها من تحرير شخص واحد هو المحرر المسؤول أو رئيس التحرير.

٤. لم تحدد جميعها مستوى الأطفال الذين تتوجه اليهم، وإن كان يفهم من موادها أنها موجهة للأطفال من سن ست سنوات إلى سن ١٢ سنة، ممايعني حرمان فئات الأطفال دون سن السادسة وكذلك فئة المراهقين من مجلات تخاطبهم وتأخذ بعين الاعتبار قدراتهم العقلية وسمات مراحلهم العمرية وحاجاتهم.

٥. تفتقد هذه المجلات إلى الحوار الدائم بينها وبين الأهل وبينها وبين الأطفال أنفسهم، مما ينعكس سلباً على مدى فهم مشكلات الأطفال وحاجاتهم الواقعية.

٦. معظم الاجزاء المخصصة للتعارف في هذه المجلات ليست عميقة، إذ لم تعط الفرصة للأطفال لكي يقدموا انفسهم بطريقتهم الخاصة، فغالباً ما يكتفي بنشر العنوان والهواية. كما المساحات المخصصة لرسائل الأطفال وأفكارهم واقتراحاتهم ونتاجاتهم والاجابة على أسئلتهم غير كافية.

٧. لم تهتم معظم المجلات والملاحق بنشر دوائر المعارف وموسوعات الطفل بحيث يكون في استطاعة الطفل تجميعها وترتيبها ليحتفظ بها وتكون نواة لتكوين مكتبة خاصة أو نواة لنوع من الأرشفة.

٨. والملاحظ أيضاً أن عملية إصدار بعض هذه المجلات ما زال ينظر إليها كمشروع تجاري للربح ولهذا نجد أن اسعار بعضها مرتفع جداً مما يتطلب لشرائها قدرة شرائية لا تتوافر إلا لنوعية من الأطفال ينتمون لطبقات اجتماعية معينة، ويعيشون في مناخ ثقافي يشجع على القراءة.

٩. واخيراً يمكن أن نقول أن جزءاً كبيراً من أطفالنا لم يقرأوا هذه المجلات، إذ تشير دراسة ميدانية على عينه من أطفال قطاع غزة عددها (٢٤٨) طالباً من مدارس ابتدائية واعدادية حول قرائتهم لمجلات الأطفال إلى أن (٩) فقط من العينة أجابوا بنعم (٥٩).

٢- صفحات الأطفال في المجلات الثقافية المحلية

وقد صدر في الأرض المحتلة منذ العام ١٩٦٧ عدد كثير من المجلات الثقافية والسياسية التي أولت عناية خاصة بأدب الأطفال، فكانت تنشر بين حين وآخر بعض القصص والحكايات المحلية والعربية والمترجمة. ومن أبرز الأسماء المحلية التي نشرها في هذه المجلات سامية فارس وزكي العيلة وصبحي حمدان وعمر أبو عقاب وفضل الريماوي وداود دويك وغسان عبدالله وصبحي شحروري وعبد الرحمن عباد ومحمد كمال جبرَ وعلي الجريري وبسام الشويكي وناصر ودنديس ومحمد عويس وعبد الناصر صالح.

وقد تعرّف أطفالنا من خلال هذه المحلات على نماذج أدب الأطفال العربي لزكريا تامر وسليمان العيسى من سوريا كما اطلعوا على نماذج أدب الأطفال الفلسطيني في الشتات لمعين بسيسو ويحيى يخلف وزين العابدين الحسيني كما اطلعوا أيضاً على نماذج من أدب الاطفال في الدول الاشتراكية.

وتميزت من المجلات الثقافية المحلية في هذا المجال:(الكاتب والبيادر السياسي والفجر الأدبي)، فقد خصصت مجلة (الكاتب) عدداً من صفحاتها الأخيرة لهذا الأدب، وقد كتب معظمه بخط اليد مرفقاً بالرسوم المعبرة وهو من تأليف عمر أبو عقاب وبخط يده في الغالب.

ومن المجلات التي اهتمت بهذا الأدب اضافة لما ورد (البيادر الثقافي، والفتى العربي وعبير وعبير البلاد ومع الناس والأسبوع السياسي والشراع وأضواء على التربية) وقد أتاحت معظم المجلات السابقة الفرصة أمام دراسة أدب الأطفال المحلي والتعريف بأدب الأطفال شروطاً وملامح وسمات وأنواع.

وكنا نأمل من مجلة (التراث والمجتمع) أن تواظب على جمع حكايات الأطفال الشعبية الفلسطينية وأغانيهم، إذ لم تنشر على صفحاتها الا حكاية واحدة لأطفالنا بعنوان "الزبّانة" (٦٠)، كما قدمت الأديبة نائلة هاشم صبري تحت عنوان "تراث غنائي للأطفال" نماذج من أغانينا لأطفالنا (٦١)، إذ يمكن أن تكون الحكايات

والأشعار الشعبية الموجهة للأطفال مادة يستفاد منها في كتابة قصص وأشعار للأطفال، كما ويمكن أن تكون أحد أهم مكونات ثقافة طفلنا إذا ما أجريت على الحكايات والأشعار الشعبية بعض التغييرات تحقيقاً لأهداف الكتابة للأطفال وفقاً للأعتبارات التربوية واهتمامات الأطفال وقدراتهم، يقول الدكتور عبد الحميد يونس:"عندما نفكر في ثقافة الطفل باعتبارها الخطوة الأولى في ثقافة المواطن وثقافة الشعب، فان الواجب يقتضينا أن نبادر إلى جمع الحواديت التي يقدمها الكبار للصغار بطريقة عفوية، وأن نعين الحياة على الأنتخاب، وعلى تخليصها من الرواسب، ومن الإمعان في الخرافة وعوامل الجمود" ويضيف "ولن نكون بذلك مناقضين لمنهج التراث الشعبي، ذلك لأن الحياة تختبر الأشكال والمضامين وتحذف وتضيف، وتُعدّل وتنسخ، حتى يظل هذا التراث مسايراً لمقتضيات الحياة المتطورة أبداً"(٦٢).

ومع كل ذلك تظل جهود هذه المجلات محدودة في تأثيرها في الأطفال ومدى وصولها اليهم، إذ نشر، مثلاً، في ثلاث مجلات منها (البيادر السياسي والكاتب والفجر الأدبي) في العام ١٩٨١ ثماني عشرة قصة وحكاية محلية وعربية وأجنبية مترجمة فقط (٦٣)، ولعل في هذا الرقم ما يشير إلى قلة ما نشر من هذا الأدب في الوقت الذي كان فيه نشر كتب الأطفال في الأرض المحتلة نادراً.

٣- صفحات الأطفال في النشرات غير الدورية

وتصدر هذه النشرات في الأرض المحتلة إما لمرة واحدة في العام في المناسبات العامة والخاصة بوطننا، وربما تصدر غير مرة، وقد تصدر تمهيداً للحصول على ترخيص مجلة أو صحيفه.

وقد أولت أيضاً هذه النشرات وخاصة النسائية والتربوية والشبابية عناية خاصة كذلك بأدب الأطفال الفلسطيني المحلي وفي الشتات، وذلك من خلال تخصيصها صفحة أو أكثر من صفحاتها بالاضافة إلى اهتمامها بقضايا أخرى تهم الطفل كالأحاجي والألغاز والنوادر والتراجم والمعلومات العلمية والتاريخية والجغرافية ...الخ.

ولعل أحدث هذه النشرات نشرة بعنوان (الفسائل)، وقد صدرت في القدس في تشرين الثاني ١٩٩٣ لمرة واحدة، وقد أشير فيها إلى أن محررها المسؤول هو أحمد السلحوت، أما رئيس تحريرها فهو أسامة العيسة، وتضمنت هذه النشرة قصة للأطفال بعنوان "القطة والقطاع والأنف" بقلم أحمد رفيق عمر، وتضمنت أيضاً حكاية تحت عنوان "حكاية أعجبتني".

وصدر في العام ١٩٩٣ نشرة بعنوان "كفاح المعلم"، وهي نشرة تربوية - ثقافية - علمية، وقد اطلعت على ثلاثة اعداد متتالية منها، ورد في العدد الثالث منها، الصادر في ١٧ آب ١٩٩٣ مسرحية للأطفال بعنوان"الأرانب والفيل"، وهي تناسب على ما ورد في نهاية المسرحية - أطفال الصف الرابع الأبتدائي لما فيها من معانٍ مجردة حسب استيعاب التلاميذ، ومن هذه المعاني: الذكاء والوحدة.

ويندرج في هذه النشرات كتب المختارات الأدبية سواء أكانت كلها موجهة للأطفال أم للكبار والصغار مثل كتاب: (نصوص من الأدب المحلي) من منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، والذي صدر في العام ١٩٩١، وقد احتوى على ست قصص قصيرة للأطفال لستة كتاب محليين هم: سامية الخليلي وعلي الجريري وعبد الرحمن عبّاد وغسان عبدالله وجميل السلحوت وغريب عسقلاني، بالأضافة الى نصوص أدبية للكبار.

وهذه النشرات لا تختص بما تنشره بمرحلة معينة من مراحل النمو عند الأطفال، كما ولا تختص لمجالات معينة من ثقافة الطفل سوى كتاب (نصوص من الأدب المحلي) الذي اختص فقط بتقديم نماذج قصصية محلية للأطفال، ولكن بلا تحديد لفئة الاطفال التي يصلح لها هذا القصص ... وحبذا لواشتملت هذه القصص وصدرت في كتاب مستقل وفقاً للأعتبارات الفنية لكتب الأطفال وشروط إخراجها، فقد يتيح لها ذلك فرصة أكبر فرصة أكبر أن يقرأها أطفالنا وبذلك تتحقق الغاية من نشرها.

وأقرب ما تكون هذه النشرات وبخاصة كتاب "نصوص من الأدب المحلي" إلى ما يسمى "حوليات الأطفال" كنوع من صحافة الأطفال.

من هنا فان اتحاد الكتاب الفلسطينيين مطالب أن يقوم باصدار هذا النوع من "الحوليات" التي يمكن أن تضم الحولية منها مختلف فنون أدب الأطفال المحلي في ضوء مراحل نموهم واحتياجاتهم أو أن تضم مختلف جوانب ثقافة الطفل على شكل مجلة أو كتاب بحيث تضمن الشمول والتنويع والتشويق، أو أن تختص بمجال من مجالات المعرفة والعلوم، حولية جغرافية أو حولية تراجم أو حولية علمية.

٤- الصحافة المدرسية

وهي نوع آخر من صحافة الأطفال سواء منها صحف الحائط أو المجلات الشهرية والسنوية المطبوعة، وهي لون متميز ورسالة هامة، ويمكن أن يكون هذا اللون وسيطاً لأدب الاطفال وثقافتهم.

وقد أسهم كثير من المجلات المدرسية المحلية في نشر أدب الأطفال المحلي، وربما

تتاح لنا الفرصة لدراسته في سياق دراسة نماذج من هذه المجلات المدرسية.

ولعل في إصدار هذه المجلات عن المدارس ما يعوض عن النقص الكبير في إصدار كتب الأطفال ومجلاتهم في الأرض المحتلة، كما وأنها تحتضن كثيراً من المواهب وتأخذ بيدها وخاصة من الأطفال. وتشير كثير من تراجم أدبائنا المحليين إلى أن بداياتهم الأدبية كانت على صفحات هذه المجلات المدرسية.

خطوات على طريق الاهتمام بأدب الأطفال وثقافتهم في الأرض المحتلة

١) الاهتمام المتزايد لعدد من المؤسسات الجماهيرية والثقافية بأدب الأطفال وثقافتهم، ويقف في طليعة هذه المؤسسات "اتحاد الكتاب الفلسطينيين" في الضفة الغربية وقطاع غزة، الذي أخذ على عاتقه نشر أدب الأطفال المحلي، وعقد الندوات لمناقشة هذا الأدب والتعريف به. "ومركز مصادر الطفولة المبكرة" بالقدس الذي نظم مسابقة لكتابه قصص لأطفال ما قبل المدرسة، كما نظم ندوة حول أدب الأطفال بعنوان: (القصة لطفل ما قبل المدرسة) في أوائل شهر آب ١٩٩٢، وأصدر كتبا قيمة حول أوضاع الطفل الفلسطيني في ظل الانتفاضة، وحول التربية الرياضية في رياض الأطفال. "والمسرح الوطني الفلسطيني" (الحكواتي) بالقدس الذي نظم مهرجانين دوليين ثقافيين لمسرح الدمى والعرائس، و"مؤسسة تامر التربوية" التي أسهمت بالترويج للمطالعة عند الأطفال بواسطة جوازات سفر القراءة، ونشرت قصة بعنوان "حنان وأصدقاؤها الجدد" لسامح عبوشي، تصب في مجرى تشجيع عادة القراءة، كما تسهم هذه المؤسسة من خلال اشرافها على الصفحة التربوية الأسبوعية لصحيفة القدس "شؤون تربوية" في نشر المقالات والدراسات المكرسة لأدب الأطفال وثقافتهم. و"مركز الدراسات والتطبيقات التربوية" وقد أصدر كتاب عمل: "تدريبات ذهنية للأطفال/١٩٩٢"، ويقيم هذا المركز مكتبة تضم عددا كبيرا من كتب الأطفال. وتهتم كذلك بأوضاع الطفل الفلسطيني وظروفه وثقافته كل من المؤسسات التالية: جمعية انعاش الأسرة بالبيرة، وجمعية رعاية الطفل برام الله. أما في القطاع فهناك مؤسسات كثيرة، أبرزها: جمعية الشبان المسيحية، ومؤسسة انقاذ الطفل في القطاع. وتولي المكتبات العامة في الضفة الغربية والقطاع أدب الطفل وثقافته اهتماما لا بأس به.

٢) اهتمام وكالة الغوث الدولية ممثلة بدوائر التربية والتعليم ودوائر الخدمات الاجتماعية، ومراكز التطوير التربوي في الضفة الغربية والقطاع وكليات المجتمع، ومعهد التربية التابع للوكالة - بأدب الأطفال وثقافتهم وتنظيم الفعاليات الترفيهية والتثقيفية لهم، اذ يعد المختصون بأدب الأطفال وثقافتهم أوراق علمية في أدب الأطفال، ومكتبات الأطفال، وقد خصصت مجلة (الطالب/المعلم) التي يصدرها معهد التربية، قسم تربية المعلمين والتعليم العالي اعدادا بمناسبة السنة العالمية للطفل عام ١٩٧٩، وعددا آخر كرس "لأدب الطفولة" في العام ١٩٨٩، وقد شمل هذا العدد على هدية، قصة للأطفال بعنوان "التحالف مع الذئاب" من تأليف أحمد أبو عرقوب، وذلك في كتاب مستقل، وقلما يخلو عدد من أعداد هذه المجلة من موضوع حول أدب الطفولة وثقافتها، أو من قصة أو قصيدة للأطفال ويدرس طلبة كليات المجتمع التابعة للوكالة في الضفة والقطاع، وبخاصة طلبة شعبة التربية الابتدائية مساقات في أدب الأطفال، وصحة الأطفال وتغذيتهم وألعاب الأطفال ...الخ. وتصدر عن مكتبات هذه الكليات والمكتبات المركزية التابعة للوكالة في رام الله نشرة فصلية تهتم بأدب الأطفال وتقافتهم.

٣) أهتمام دوائر التربية والتعليم في الضفة - وهو قليل - بأدب الأطفال وثقافتهم وترفيههم، اذ أخذت مجلة (أضواء على التربية) تنشر ابحاثا في أدب الطفولة، وتنشر أناشيد وأعمالاً أدبية موجهة للأطفال ومن انتاج الأطفال أنفسهم، وهذه الأعمال لا تخرج عن الأطار المرسوم لها من قبل الادارة المدنية/دائرة التربية والتعليم التي يشرف عليها ضابط اسرائيلي.

٤) صدور عدد من الكتب حول أدب الأطفال وثقافتهم وصحتهم وأوضاعهم النفسية وألعابهم ورسوماتهم لكتاب محليين مثل كتاب علي الجريري وعمر شكارنة (أدب الأطفال: أصوله وفنونه)، وكتاب (الأنجاب والطفولة) للدكتور شريف كناعة وآخرين، وكتاب (المرشد البسيط في التعامل مع الطفل) الصادر عن جمعية الدراسات العربية بالقدس وكتاب (دراسة حول الطفل الفلسطيني) لأحمد أو بكر وآخرين. (ولأدب الأطفال القصصي) لنجلاء شهوان، وكتاب (مبادىء في سيكولوجية وتربية الطفل المعوق) للدكتور نعيم أبو الحمص وآخرين، وكتاب الدكتور رياض الأغا (سوء معاملة الطفل خارج المدرسة ودور المربي في علاجها).

٥) المبادرة في تأليف الكتب المدرسية للأطفال، وقد برز في هذا المجال كل من محمد الخالدي الذي ألف كتابا بعنوان (اقرأ القراءة) الكتاب المعدل للصف الأول الأبتدائي، ومحمد رشاد الشريف الذي وضع كتابا بعنوان (القراءة العربية) في ثلاثة أجزاء واتحاد لجان المرأة للعمل الاجتماعي الذي أعد بالتعاون مع أحد المعلمين كتابا بعنوان (المرشد في القراءة والكتابة).

٦) إنشاء االمكتبات المتنقلة للأطفال كما فعلت دراسات اللاعنف بالقدس، وانشاء مكتبات مستقلة للأطفال كما فعلت لجنة المرأة العاملة الفلسطينية في مدينة نابلس، والمبادرة الى تطوير أقسام الأطفال التابعة لمكتبات الأطفال كما في مكتبة بلدية نابلس العامة، ومكتبة بلدية الخليل العامة، وفتح بعض الأشخاص مكتباتهم الخاصة لأطفال الحي، ليستعيروا منها ويلتقون فيها كما تفعل الأديبة سميرة الشرباتي من مدينة الخليل.

٧) العروض المسرحية المقدمة للأطفال وقد قدمت في هذا المجال الفرق المسرحية عددا كبيرا من المسرحيات للأطفال، وتميزت في هذا المجال فرقة الفنون المسرحية (الجوال) التي تأسست عام ١٩٧٠ بمدينة القدس، وقد قدمت هذه الفرقة مسرحيات عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر: مدينة الأحلام، والأسكافي السعيد، وحلاق البلد، وعلاء الدين والفانوس السحري، وليلى الحمراء، وقمر الأميرة، والقزم وابنة الأميرة، ودكان العم سليم، ورحلة في ربوع القدس، وجدي مش ختيار، وثوب الامبراطور، وهارون الرشيد، وعلي بابا والأربعين حرامي (٦٤).

وفي ظل الانتفاضة "قدمت الفرق المسرحية ثلاث مسرحيات للأطفال، كانت من تأليف واخراج وتمثيل فرق: الورشة الفنية (جورج ابراهيم) والحكواتي (راضي شحادة) والجوال (صقر السلايمة)، كانت في مجموعها تسعى الى حث الطفل على التفكير واعمال عقله من أجل الانجاز الى جانب الخير ضد الشر أو المقاومة ضد الأحتلال (٦٥).

٨) اقامة المعارض لرسومات الأطفال والورش التعليمية والمخيمات الفنية.

اقتراحات وتوصيات

وفي ضوء ما سبق يمكن تقديم هذه الاقتراحات من أجل النهوض بهذا الأدب الهام والضروري.

١) تجنب نغمة الوعظ والارشاد في الأدب الموجه للأطفال وكتابة أدب خالص يثري حياة الأطفال ويثير فكرهم وفق روح كل المقاييس من ناحية بناء الأحداث ورسم الشخصيات .... وأن تطبق كل قواعد النقد لا المقياس التربوي فقط.

تقول أحدى الكاتبات: "ان الطفل في البلاد المتقدمة يقرأ في مرحلة طفولته حوالي ٦٠٠ كتاب، ولكي تجعل كتابك مقروءا يجب أن تزاحم هذه الكتب حتى تجد لك مكانا وسطها"، وهكذا فانه يجب أن تكون مؤلفا على درجة عالية من الجودة كي تصنع كتابا كلاسيكيا وسط هذه الكتب.

ومن ناحية أخرى من الضرورة أن يراعي المربون والكتاب والفنانون الأطوار المختلفة التي يمر بها الطفل لدى تقديم انتاج ثقافي للأطفال.

٢) الأهتمام بانتاج اغان واناشيد جيدة جادة باللغة الفصيحة السهلة التي تتفق مع المستوى اللغوي للطفل والاهتمام بنشر الكتب الخاصة بأطفال ما قبل المدرسة.

٣) نشر الوعي عن أدب الاطفال بين الآباء والمدرسين والمدرسات والمؤسسات الخاصة بالطفل كالجمعيات واستخدام جميع الوسائل الاعلامية أو غير الاعلامية لنشر هذا الوعي.

٤) عقد دورات لتدريب الكتاب المحليين على الكتابة للطفل، وعقد دورات لخلق رسامين قادرين على تزويد كتب الأطفال المحلية بالرسومات المناسبة.

٥) تشجيع العاملين في مسرح الطفل شتى الوسائل وتوفير النصوص الخاصة بهم ودعمهم ماديا وأدبيا، والعمل على إيجاد مسارح خاصة للأطفال.

٦) توفير البحوث والدراسات المتعلقة بأدب الأطفال في الوطن العربي لمعرفة الحقائق الراهنة والانطلاق الى انجازات هادفة وملائمة في المستقبل.

٧) قيام مؤسسات مسؤولة عن انتاج كتب الاطفال وادبهم ونشرها وتوزيعها، ومسؤولة عن تبني عدد من الكتاب كي يتسنى لهم التفرغ للكتابة للاطفال ولتحريرهم من اعباء النشر والتوزيع على أن تضم هذه المؤسسات اشخاص من ذوي الاختصاص والعلاقة بشؤون الطفل ومطالعاته، كما وتقوم باعداد مترجمين متخصصين في ترجمة كتب الأطفال مع التركيز على ترجمة أمهات كتب الأطفال.

٨) ضرورة تأسيس مكتبات للاطفال مستقلة في المدن وفي القرى المتوسطة جغرافيا، تفتح حتى المساء وتعيين أمناء لها من ذوي الاختصاص، ويمكن القيام بحملة قومية للتبرع لإنشاء هذه المكتبات بالجهود الذاتية وبهدف إثارة الاهتمام على مختلف المستويات باهمية الكتاب والمكتبة للطفل.

٩) ضرورة وجود مجلات لمختلف الفئات

العمرية والعقلية للأطفال وعلى الاقل مجلة تخاطب الاطفال قبل سن المدرسة واخرى تخاطب الفئة العمرية الأخيرة (فئة المراهقين) وضرورة تعيين مراسلين من الأطفال للمجلات القائمة والمقترحة من أوائل المدارس في القرى والمدن، وضرورة وجود دورية تعرض لأهم كتب الأطفال وتقوم بنقدها ليستفيد منها أمناء المكتبات والمدرسون والآباء.

١٠) وعلى المجلات القائمة أن تحاول اقامة حوار بينها وبين الأهل والاطفال وذلك يؤدي الى تعرف مشكلات الاطفال التربوية واللغوية والبيئة والمعيشية ويفترض أن تلبي هذه المجلات احتياجاتهم من خلال تعديل خطتها وفق مايتطلبه الواقع.

١١) بخصوص صفحات الاطفال الاسبوعية في الصحف والمجلات المحلية فمن الضروري أن تخصص أحدى الصحف صفحةيومية أو ثلاث مرات في الأسبوع لكي تنشأ لدى الطفل عادة القراءة والمتابعة وان تحرر هذه الصفحة بالاسلوب الصحفي الجذاب فيكون فيها الخبر والصورة والحكاية المتسلسلة السردية والمقابلة والكاريكاتور وهموم الطفولة من خلال السؤال والجواب ويمكن أن يشارك الأطفال في تحريرها.

الهامش

٥١- أنظر: ماري فاشة. الأطفال أدبهم وعاداتهم وميولهم القرائية.- عمان: الانروا/اليونسكو،١٩٨٨)

٥٢- أنظر: محمود الأخرس "أدب الأطفال في الأردن". مجلة رسالة المكتبة ج ١٤، ع٢،٣ (حزيران، أيلول ١٩٧٩).

٥٤- رقية العلمي "حول أدب الأطفال". صحيفة القدس (١٩٩٢/٩/١٦) نقلاً عن "لكي تزيلي من ذهن طفلك حكايات السوبرمان ..." (أدب ونقد/كانون الأول ١٩٩١).

٥٥- حامد الشافعي "دوريات الأطفال في مصر". رسالة المكتبة ج١٥،ع١ (آذار ١٩٨٠).ص١١

٥٦- عبد الفتاح أبو معال. أدب الأطفال .- عمان: دار الشروق، ١٩٨٤.ص٢٩

٥٧- ملحق خاص صدر عن مجلة "الفتى العربي" في تشرين الأول ١٩٩١، وقد وزع مجاناً مع المجلة.

٥٨- ملحق خاص صدر عن مجلة "شفى" المقدسية.

٥٩- رشاد المدني. "نظرة على الواقع الثقافي للطفل الفلسطيني في قطاع غزة". البيادر السياسي س ١٣ ع ٥٤٦ (٢٥ كانون الأول ١٩٩٣).

٦٠- مجلة "التراث والمجتمع" العدد ١٦ (نيسان ١٩٨٣).

٦١- مجلة "التراث والمجتمع" العدد ١٢ (آب ١٩٧٩).

٦٢- يعقوب الشاروني "ثقافة الطفل من خلال القصص والحكايات الشعبية" مجلة القاهرة العدد (١٢٠)، (سبتمبر ١٩٩٣) .ص٩٣

٦٣- حسين غيث. كشاف الدوريات الفلسطينية المحلية لعام - ١٩٨١ - القدس: جمعية الدراسات العربية - ١٩٨٣.

٦٤- جميل السلحوت "الحركة المسرحية في المناطق المحتلة". مجلة الكاتب العدد ٩٦ (نيسان ١٩٨٨).

٦٥- المتوكل طه وإبراهيم جوهر. "الثقافة والانتفاضة". - القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين.ص١٧٨

يتبع في العدد القادم.

«جنوب الماء» لأولاد أحمد

«بين حبات المطر..
أستطيع التعرف على دموعي.
ان الطريق هي الطريق
لا تفرشوها بالحرير
أنا لا أسير
أنا... أطير»

هكذا يقدم الشاعر التونسي محمد الصغير أولاد احمد مجموعته الشعرية الاخيرة التي صدرت في اواخر السنة الماضية عن دار «سراس» للنشر في تونس. المجموعة صدرت في حجم صغير وضمت عدداً من القصائد.

وعلى غلاف المجموعة كتب الشاعر - وكأنه يجيب على سؤال لماذا نكتب الشعر - يقول «بغاية رفع المعنويات... نكتب الشعر. على ضوء شمعة او تحت عمود كهرباء، في لفافة سيجارة او على دكة حزينة.. ذلك لا يهم، نجتهد دائماً، في ان تكون أكاذيبنا قابلة للتصديق ومنتجة للتصفيق على الذي نرفع معنوياته أن يرفع معنواياتنا أيضاً.

بغاية رفع المعنويات: نغلق الابواب، نستنطق المرايا، نخط ما نخط، ونشطب ما نشطب... فتكون حصيلة الصباح: حرفاً او كلمة، او بيتاً، او مقطعاً، او قصيدا لا معنى له خارج اللحظة المؤسسة له والغائبة عنه... والمجهولة ابداً.

شعراء المتوسط يلتقون في مدينة كافالا

منظر عام لمدينة كافالا (قولة) وتبدو من بعيد قلعة محمد علي

بدعوة من جمعية الآداب والفنون في مدينة كافالا اليونانية، عقدت ندوة شعرية، ضمنت نخبة من شعراء دول حوض البحر المتوسط، شارك فيها شعراء من ست عشرة دولة متوسطية،قرأوا أشعارهم على مدار ليلتين ٦،٧ كانون الاول الماضي، اضافة الى مداخلات في الثقافة المتوسطية وتأثر شعراء دول المتوسط بالثقافات القديمة، والدور الذي يمكنهم القيام به.

مبنى البلدية ومكتبتها حيث عقدت الندوة

من أجل تكريس عالم جديد، يسوده العدل والسلام.

وقد شارك في هذه الندوة شعراء وكتاب من أبرزهم، كوستاس موسكوف، الملحق الثقافي اليوناني في سفارة بلاده لدى مصر، والشرق الأوسط، وهو أحد المهتمين بتعزيز التواصل الثقافي بين الثقافتين اليونانية والعربية. وأحد أعضاء اللجنة اليونانية لجائزة كفافس، التي منحت هذا العام للشاعر الفلسطيني محمود درويش، ومن المقرر منحها ثانية، للشاعر المصري المعروف محمد عفيفي مطر الذي شارك في ندوة كاقالا، مع شعراء مصريين آخرين، رفعت سلام، وأحمد الشهاوي وهالة البدري.

كذلك شارك الشاعر التونسي المنصف المزغني وثلة من شعراء اليونان، وفرنسا وايطاليا واسبانيا.

مثل فلسطين ثلاثة من الشعراء الفلسطينيين سميح القاسم، أحمد دحبور وأسعد الأسعد.

وبدعوة من الطلبة الفلسطينيين، وبحضور أكثر من ثلاثمئة طالب فلسطيني، يدرسون في جامعات اليونان، أقيمت أمسية شعرية للشعراء الفلسطينيين الثلاثة، إضافة إلى الشاعر التونسي المنصف الزغني، دار بعدها نقاش ثقافي، تناول دور المثقف والشاعر في المرحلة القادمة.

في نهاية كافالا، تقرر ترجمة أعمال الندوة، إلى اليونانية، وإصدارها في كتاب، كما تقرر مواصلة عقد هذه اللقاءات في السنوات القادمة.

جدير بالذكر، أن مدينة كافالا، التي تقع شمال اليونان، هي مدينة "قولة"، مسقط رأس محمد علي الكبير، حاكم مصر، ولا تزال الحكومة المصرية، تحتفظ بالقلعة، وما حولها من أبنية تعود ملكيتها إلى الحكومة المصرية، حيث أقام المصريون ناد ثقافي يقوم بنشاطات فنية وثقافية، ويعتبر أحد معالم المدينة الهامسة.

الفن في تصويره للتاريخ والمجتمع

فاطمة المحب

إن الفن في كل زمان ومكان كان ومازال مرآة تنعكس عليها صور الحياة والتاريخ والمجتمع، إنه من الآثار التي صنعها الانسان في تلك الأزمنة البعيدة في القدم عرفنا الكثير عن تلك الشعوب الغابرة. فالآثار تنطق صدقاً وعدلاً بأخبار السابقين. ولقد وجد الباحثون آثاراً ترجع الى أقدم العصور أي العصر الحجري، كما وجدوا بعض الكهوف التي كان يسكنها الانسان في ذلك العصر وعليها رسوم تصوره مع حيواناته الأليفة أو في صيده للحيوانات الأخرى.

يرى المؤرخون أن بدء الحضارات القديمة كان قبل اكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، قبل حضارات أحواض الأنهار ومن أهمها الحضارة الفرعونية المصرية عند نهر النيل، والحضارة البابلية والأشورية عند نهري دجلة والفرات والمسماة حالياً العراق، وكذلك في بلاد الفرس المجاورة لها، كما وفي شواطىء شرقي البحر الأبيض المتوسط شواطىء مثل لبنان التي كانت تسمى فنيقيا، وفي فلسطين وكذلك في بلاد الإغريق أي اليونان ومن بعدها الرومان. إن الآثار الباقية الان في مناطق مختلفة بما عليها من نقوش وصور وكتابات عرفتنا كثيراً من التاريخ القديم ومجتمعاته. فهذا معبد البارتنون في أثينا - اليونان ماثل للآن وعلى جدرانه رسم حياتهم وحروبهم وعبادتهم. كما أن هنالك بعض الأواني الخزفية القديمة ويحيطها رسوم تعبر عن حياتهم يظهر فيها المحاربون وعرباتهم الحربية، وانه من بعض المخطوطات القديمة التي كانت تكتب غالباً على نوع من الجلد ويرافق تلك الكتابة صور توضيحية عرفنا أموراً كثيرة قبل حروب الأسكندر قبل الميلاد في الشرق، ولقد جاء الرومان من إيطاليا بعد الأغريق وتضمنت إمبراطوريتهم الواسعة منطقة الشرق الأوسط حيث نشروا آثارهم فيها، وهذه مدينة جرش الأثرية تشهد بذلك في الأردن بما فيها من آثار رومانية. لقد كان الرومان يكثرون من عمل أقواس النصر وعليها بالحفر البارز صور حروبهم وإنتصاراتهم وأباطرتهم. ومن آثار النحت عرفنا شخصيات أباطرة الرومان مثل يوليوس قيصر وهيرودس وغيرهم. لقد كان طابع الفن الروماني يمتاز بعظمة ظاهرة إستمدت أسبابها من كبرياء حكامهم. إن كثيراً من تلك الآثار ومن المخطوطات موجودة في المتاحف العالمية حالياً. وإنه في الأردن كذلك مدينة البتراء الأثرية الرائعة من عمل العرب الأنباط قبل الميلاد.

أما منطقة ما بين النهرين دجلة والفرات ففيها كانت الحضارة البابلية والأشورية وإلى جوارها بلاد فارس وفيها قصور مثل دارا وبيرسويوليس عليها رسم حياتهم وحروبهم وإننا نرى كذلك من الحفر البارز في تلك القصور عن ملوكهم مثل كورلن وداريوس، وعرفنا أسلحتهم المستعملة مثل القوس والنشاب والحراب وعرباتهم الحربية وحتى مظهرهم الجاد حيث نرى الجندي يربي لحيته علامة على الوقار.

أما إذا عدنا إلى وادي النيل حيث الحضارة الفرعونية المصرية. فان الآثار التي إكتشفوها فيها لوحات رائعة بالألوان على جدران الغرف الموجودة في الأهرامات وفي المعابد وهي فيها تظهر حياتهم اليومية وكذلك صور معبوداتهم وملوكهم وحروبهم وعلى تلك الرسوم توضيحات بالكتابة الهيروغليفية وهي كتابة تصويرية وليست أحرف هجاء صوتية، ولكنها فيما بعد تطورت إلى أحرف هجاء. كما أنه وجدت عدة تماثيل لملوكهم ومن أهم هؤلاء الفرعون رمسيس الثاني الذي كان يسمى ملك الملوك لكثرة فتوحاته في الشرق أي فلسطين وما جاورها. إن له تمثال مع زوجته

على باب معبد "أبو سمبل" منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهذا الفرعون هو الذي ربى سيدنا موسى عليه السلام، وكان خروجهم من مصر مع سيدنا موسى بعد سيدنا يوسف بأربعمائة سنة تقريباً.

هذا موجز عن ما كان قبل الميلاد، أما بعد الميلاد فقد ظهر الفن البيزنطي وهو فن الدولة الرومانية الشرقية التي إعتنقت الديانة المسيحية وكانت عاصمتها بيزنطة وهي التي تسمى حالياً إستنبول في تركيا. لقد سيطرت الدولة البيزنطية في ذلك الوقت أي منذ سنة ٣٠٠ ميلادية على منطقة الشرق الأوسط ناشرة الفن البيزنطي فيه، وكذلك إنتشر هذا الفن في أوروبا ومعه إنتشرت المخطوطات القديمة التي تصف حروب الدويلات الأوروبية في عهدها الأقطاعي في حوالي العصور الوسطى وهذه المخطوطات دائماً مصورة وفيها عرفنا تاريخهم مصوراً، فرأينا شكل القلاع والحصون التي تحيطها الخنادق لتحصينها. وعليها الجسور، وكذلك رأينا مظهر المحاربين وأزياءهم وأسلحتهم وهي الرماح والسيوف والقوس والنشاب، وكذلك المنجنيق وهو يشبه المدافع لرمي الحجارة من بعيد على الهدف المطلوب. وأدوات تسلق الأسوار والقلاع والحصون وهكذا، فمن فن التصوير عرفنا تلك المراحل التاريخية المهمة.

أما الحروب الصليبية في منطقتنا فقد أخذت دوراً كبيراً في تصويرها، وهكذا من تلك المخطوطات المصورة عرفنا الكثير عن أساليب تلك الحروب وأدوات الحصار خصوصاً لأسوار القدس والتي كتب لها الرجوع عربية على يد البطل صلاح الدين الأيوبي.

أما منذ حوالي القرن الرابع عشر للميلاد والخامس عشر فقد ظهر عصر النهضة الايطالي الفني إذ صوروا على جدران

معبد (أبو سمبل) تمثال رمسيس الثاني وبجانبه زوجته من النحت الفرعوني قبل الميلاد

وقباب كنائسهم من الداخل قصص الأنبياء وأتباعهم مما يعتبر نوعاً من التاريخ. وتبعتهم أوروبا في هذه النهضة الفنية حيث أنهم إهتموا أيضا بتصوير مجتمعهم وملوكهم ولقد نشط فن البورتريت أي تصوير الوجوه الشخصية، لذلك كان ملوك إنجلترا يحضرون الفنانين من المانيا مثل هولباين، ومن هولندا مثل فان وايك لتصويرهم، وكذلك فعل ملوك فرنسا وإسبانيا وبهذا عرفنا كيف كان مظهر هؤلاء الحكام والزعماء والملوك مما بقي من صورهم الشخصية في المتاحف العالمية والقصور.

أما في هولندا فقد إهتم الفنان رمبراندت برسم مناظر طواحين الهواء والطبقة الشعبية والفنان الهولندي فيرمير إهتم برسم داخل البيوت وهكذا عرفنا الشيء الكثير عن تلك المجتمعات وعن أزيائهم العادية.

أما بعد الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر فقد سقط حكم الملك لويس السادس عشر وجاء حكم الامبراطور نابليون بونابرت الذي إشتهر بكثرة فتوحاته فأوروبا ومصر وفلسطين وحتى روسيا التي كسرته بثلوجها فارتد على أعقابه. في ذلك الوقت خلد الفنان الفرنسي

تجارة العبيد من افريقيا الى أميركا في القرن السابع عشر

دافيد موضوعات الثورة الفرنسية والفتوحات باسلوب فني يشبه الكلاسيكي أي القديم. ومن لوحاته الشهيرة تتويج نابليون، فمن تلك الرسوم عرفنا شكل نابليون وشخصيته وكذلك بعض زعماء تلك الفترة. لقد إتبع هذا الأسلوب الثوري فنانون كثر، ولكن بعضهم أثارته الثورة برسم ما سبقها من بؤس وظلم وشقاء للانسان، وهكذا إلى أن كان هناك يقظة للفن على يد الفنانين الانطباعيين في فرنسا منذ أواخر القرن التاسع عشر حيث صوروا طبقات المجتمع المختلفة والفن كان عندهم للشعب فصوروا الفلاحين والصيادين والعمال والملاهي والمقاهي وهكذا، فمن تلك الروائع التي خلفوها ذخراً للأنسانية ولحضارة عرفنا الكثير عن تلك المجتمعات التي مضت. وكذلك عرفنا الكثير عن منطقة الشرق من رسوم الفنانين المستشرقين حيث صوروا الناس بأزيائهم الشعبية وتجمعهم وحياتهم وبلادهم.

لقد صور الفن كذلك بعض الثورات الاجتماعية ومن ذلك تصويره لمشاكل زنوج أفريقيا قبل أكثر من ثلاثمائة سنة حين كانوا يأخذونهم بالقوة وبقسوة متناهية من أوطانهم بألوف الألوف لبيعهم عبيداً في أمريكا ليعملوا في الزراعة أو الخدمة. ولقد صدر فيما بعد قانون من الدول الكبيرة يمنع منعاً باتاً الإتجار بالانسان مهما كان.

لقد صور الفن أيضاً الحروب العالمية الأولى والثانية حيث إستعملوا الغارات الجوية على المدن وعلى الناس، لقد صور الفن حياة المجتمعات في السلم وكذلك في الحرب، كما صور الفن جمال الطبيعة والمواضيع الأنسانية الأخرى الهادئة الجميلة. وإنه مع إختراع آلة التصوير الملونة وتقدم الطباعة صار بالامكان نشر صور عن تلك الروائع الفنية لتكون بين أيدي الناس وعند محبي الفنون الجميلة، فالفن التصويري هو لغة عالمية يفهمها كل الناس ويحبونها. وربما بعض اللوحات كان أثرها على الأنسان أبلغ من كتابة موضوع. وكذلك في إنتشار الكتب المصورة تثقيف لجميع الناس، وهكذا فالفن كان ومازال هو النافذة الحضارية لكل المجتمعات وللإنسانية جمعاء.

أستغفر الله الا من محبتكِ!

احمد الشهاوي

قلتُ والدهشةُ تأخُذُنى إلى نهايات سحيقةٍ، وتصعدُ بى إلى سماواتٍ لا نهاية لها:

غريبٌ أمر هذا الذى حدثَ ويحدثُ. من المؤكد أنّنا سنظلُ حتّى اللحظات الأخيرة من حياتنا لا ندرى عن أنفسنا شيئاً. نحن نجهلنُا، ولم نسبرْ أغوارنَا بعد، ولم نسلكْ دروبنَا الوعرةَ أو الممهدةَ، ولم نحرثْ أراضينا. ولم نصل إلى ذروة الشىء ويبدو أنّنا لن نصَل.

لا بد أن نعيدَ أوراقنَا، ونقرأ ما بين سطورنا، علّنا نقبضُ على جمر القلب قبلَ أن يَتَرمّدَ، ونسرقُ النارَ ونشعلُ حدائق النفس حرائق تندلقُ ألسنتها اللهبيةُ، فربما نكتشف المخبوءَ في بيوت الذات.

هاتفتنى من بعيد، ذات مساءٍ صائفٍ صَفَتْ نفسى فيه.

المسافاتُ بعيدةٌ، آلافٌ من الأميال.

المسافاتُ قريبةٌ، آلافٌ من جسور الوصل والتلاقى.

لم أكن قد رأيتها قبلاً؛ لكنّ إحساساً ما استقر في النفس، وصدّق عليه العقل. أنّنا مشينا على درب الشوق مرةً، وقبسنا ضوءَ اللّقيا مرةً، واختصرنا قواميس الكلام في ارتشافة عينٍ ذات مساء، وكتبنا أقدارنَا في قصيدة شعرٍ سيحفظها الزمان، وعَلَوْنَا فشُفْنا بعد ما شَفَفْنَا.

وشربنا مياهَ العشقِ، وارتوينا بعد ظمأ، ووصلنا إلى سكةِ العارفين.

وقالتْ لى: بعد أيامٍ قلائل سيحطُ رَحْلى، ستكون مفتاحى ومُفتتحى في هذه الديار، التى لم تطأها قدماى من ذى قبل. هي ديار جديدة علىّ، ولكنّنى اكتشفتها قبل عشرات السنين، أعرفها عزّ المعرفة. أحفظُ مدنَها وقراها وكفورها ونجوعها.

قرأت ناسهَا الطيبين البسطاءَ الودعاء. أعرفُ لهجاتها العامية الدارجة.

كلُ شىء لديك أعرفُه.

لكن كيف لى أن أعرفَكَ عندما تحطُ طائرتى في مطار القلب.

أي الملابس سترتدى، مارسمُك، ما وسمُك، ما لون عينيك، شعْرك، أنفُك، كلُك.

قلتُ لها: أنزلى الديار آمنةً مطمئنةً سالمةً لن يمسسكِ سوءٌ، وسأعرفُك أنا، سأتهجّى حروفَ وجهكِ من بين زحام حروف البشر، سأقرأ تألقَ عينيك.

أخطأتْ حينما قالت لى ذلك، فالقلبُ دليلُ التائه الحائر الضال، وهي ليست كذلك، فأنا في داخلها وهى في داخلى، أسكنُها وتسكننى. متى كانت اللُقيا بداية للوصل، ومتى كانتْ الرؤيةُ بديلاً عن الرؤيا، نحن نرى الأحبة بعيون قلوبنا، قبل أن نلقاهم بعشرات السنين، ونعرفُهم رغم آلاف الأميال من البُعد.

ربما هى لم تدركْ قولها.

ربما حرصُها على تأمين ارتحالِها أدّى بها إلى ذلك.

أنا لم أشعر يوماً أننى ناء عنها، بل منذ هاتفتنى، وأنا دائم التفكير في أمرها، مشغولٌ بها، هى سكنتنى دون أن تدرى، وربما دون أن ترغب.

هي قريبةٌ لى، وأنا قريبٌ لها.

وكلانا على القرب جئنا وذُبنا، وذابت أملاحُ المسافات، تحت وطأة الدفء والتلاقى، واشتعال ورد الليل، وتأجج مشاعر النجوم والأقمار.

وأتى ميعادُ حلولها.

وهلّت. وطلّت من ميناء قلبها على قلبى. وظلّت تنتظرنى. ولم آتِ، ساعاتٌ مضت كأنّنها الدهر كله، لم ترنى. سألتْ وأجبتُ.

في ذلك المساء، ساورتنى شكوكٌ بأنّها لن تبرح ديارَها وتأتى إلى ديارى، ولذا شغلتُ نفسى بأمورٍ أخرى حتى أنسى وقعَ غيابها.

قلتُ: لو كانت ستأتى لهاتفتْ القلبَ، قبل الهبوط في مينائى بساعات. هي دقيقةٌ في تسيير شؤونها. وتلك أمورٌ لا تغيب عنها.

ولكنّها فأجأتنى. وهلّت.

سكنتْ الديارَ، ومن قبل كانت قد

سكنت قلبى. ولا أرغبُ في أن تبرحَهُ إلى يوم الدين.

اشتعل القلبُ حزناً، لأننى لم ألقها حينما قدمت. كانت لا بد أن أكون أولَ الوجوه التى تصافحها. وتقرؤها، وتتملاّها، وتحفظُها.

لقد فَوّتُ على نفسى فرصةً لن يعيدها الزمان ثانيةً.

حتى ولو لم تأت، ينبغى أن أكون في انتظارها. القلبُ صادقٌ، ولكنه توانى، هو يعرفُ أنّها قادمةٌ، ولكنّه شغل نفسه حتى ينسى غيابها إذا هي لم تأت.

في منتصف النهار التقينا.

اختصرتُ الطريقَ المؤدى إلى مكان إقامتها في خطوة قدم واحدة، لم أفكر فيما سيكونُ شكلها، ملامحُها، رسومُها، قدومُها، حلولُها، هلاّتُها، طلاّتُها، ظهورهُا، حضورهُا.

إننى أعرفها حقاً وحقيقة.

وليس هناك داعٍ للأسئلة.

فالقلبُ يعرفُ كلّ الإجابات. لا شىء يستعصى على الإدراك أو الفهم.

وأضاءت المكان بنورها.

لم أسألها من أنت. وهل أنتِ ما أنتظرُ.

قلتُ: أهلاً وسهلاً ومرحباً، رشدتُ ولم أقعدْ إليها أسائلُها.

كان البهو يمتلىء بالبشر.

ولكنّ ضوءَها أرشدَ عنها، وبيّن مكانَها. وأوضحها لى. على الرغم من أنّ القلب كان قد أدركها وأحسّها تو قدومها.

احتوتنى

وجُبْنَا الشوارع والميادينَ حتى انقضى النهارُ. وهلّ الليلُ علينا، فطويناه في السير والسفر في دروب الأرض، لتسمع لغة قلبينا.

وتحفظنا من الرحيل، والنأى، والبُعد، والهجر، والفراق، والسفر، والوداع.

هى لى. وأنا لها.

وأخشىء أن ترحل.

ما هي إلاّ أيامٌ معدوداتٌ وترحلُ إلى ديارها، وربما لا أراها ثانية.

ياه ..

صعبٌ هذا على قلبى.

هى تعرفُ ذلك وأنا أعرفُ أيضاً. قلتُ لليلى المائف الهادىء:

«دَعنِي لَقَدْ مَلَكَ الغَرَامُ أعنّتى.

لكنّنى خَضتُ البِحارَ بهمّتى»

هل يختصرُ القلبُ سنين عشقة في يوم واحد بنهاره وليله ؟

حُلُم أم علمٌ. كلّ شىءٍ بادٍ أمامى. ملكتنى. بحارُها سحيقةٌ، وقرارُها عميقٌ، وعلى أنْ أخوض، وأنْ أصلَ، وأن أتبين موضعى ووضعى.

هواها مركبى، هداها مطلبى، فلا أنا أنزلُ عن مركبى، ولا أنا أصل إلى مطلبى.

أستغفرُ اللّهَ إلاّ من محبتكم.

أنتِ لى. وأنا لك.

لى قلب يهواكِ، ويستجيبُ لنداك، ويسمعُ قولَكِ، ويفقهُ مقالَكِ، ويرغبُ قربِك، ويهفو الى ديارك، ويغفو فوق أرض صدركِ الطيبة، ويملأ أكوانِكَ عشقاً وشوقاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً، سيدمى عندما ترحلين عنه، يشغل كاهله حتى لا يفكر في يوم رحيلك، يؤرقهُ السفر، ويضنيه عذاب المسافات:

«وإنّى لأرجو قُربَكم ووصالكم»

ولكننى عما أريدُ بعيدُ»

قل يا أيها العاشقون، هل كتُب عليكم، أن تقربوا المستحيل من العشق وأنتم لا تعلمون.

نبأُكِ عظيم، وهأنذا أسألُ عنه. في أراضيكِ إجابةٌ عمّا يشغلُ القلب، يثقلُ صدرَهُ بهموم الفراق.

مثلى «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلبٌ أَوْ أَلقَىَ السّمْعَ وَهُوَ شهيدٌ». يعشقُك، ولا يرضى عنكِ سبيلاً. يستشهدُ في حربكِ المقدسة، لإجلاء قوات غزو المسافات والسفر والرحيل.

أنت ماذا ترين؟

هل سأكونُ واحداً في حياتِك، وينتهى الأمر. ذكرى جميلة مضت وانصرمت، والذكرى تنفع المؤمنين، محطة لاستقبال المسافرين والمرهقين والمتعبين من أثر بُعد المسافات. كُلّى يسألُ ولا أرغب في إجابات. فمتى كانت الإجابات حلاً لمعاناة القلوبِ العاشقة، والنفوسُ المُفعمة بالحزن الشفيف، ونار الشوق.

لا أريد منكِ أن تقولى:

إننا سنتهاتف على البُعد، أو على القُربِ، سنتكاتب، سنرسل السلامات والتحيات والتهانى مع المسافرين والراحلين.

كلُ ذلك لن يرأبَ صدعَ القلبِ، وصداعَ النفسِ النصفى، ولن يبلغَ الروحَ طولاً، ولن يروى الأرضَ التى ستقحل، هى يبابٌ ترغُب في مائك أنت، في دفقكِ ودفئِكِ.

وأنتِ استقررتِ في نفسى، وسكنتِ في قلبى، ومشيت في دربى، وصعدت جبالى، وسريتِ في أوصالى، وشربت دمَ عشقي وتوضأتِ به لتؤدى ركعتين للعشق، وشُفتِ سماواتى، وقرأت مكتوبى، وعرفت مكنونى، وأذعتُ لكِ أسرارى، وأدخلتكِ عوالمى، وأطلعتكِ على أحلامي، وأكلنا عيشاً وملحاً وأريتُكِ طرقَ نفسى وميادينها، وأرشدتُكِ إلى سُبلى.

فهل بعد ذلك تقولين: إنّى راحلةٌ

وخذُنى لبلادى

وما بيننا كان رسوماً على قشرة القلب.

وليس نقشاً فرعونياً لا تمحوه السنون.

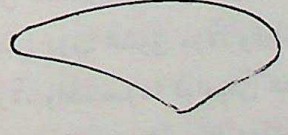

شعر

نص

من سيقطع رأس البحر؟

عثمان حسين

هكذا، دونَ مبرّرٍ عاشرٍ، هكذا اعتدلْتُ ...،
تساقطَتْ مفاتنُ الأرضِ خلفَ الحواكيرِ، لم أجفّفْ
شهوتي على حِبالِ الوقتِ، يتورّمُ الماءُ في عينِ
سحابةٍ برّيّةٍ تكسّرتْ على أجفانها لوائحُ الجُنودِ،
المخيّمُ طاعنٌ في الغموضِ المرّ، أُتوّجُ رأسيَ بأنظمةِ
التجوّلِ، أيّ ريحٍ تمرّغُ أنفَها في أزقّةِ البحر؟!،
تقدّمي يا نصفَ أسئلتي، الشوارعُ محفوفةٌ بطمأنينةِ
رصاصيّةٍ، إبدئي الأُنوثةَ شعلةً شعلةً، وابتعدي
عن سلامتي، تعلّمي جيّداً، ثُمّ فسّري ذكورةَ النّهار،
إقرأي خرافةَ الجسد، أشتهي قُبلةً نظيفةً، دونَ
رهبةٍ من حذاءِ جنديّ يشتكي نفسهُ في الماء،
لم أعدْ مثقلاً بخلاصةِ البحرِ، لم يؤرّقْني لُهاثُ الزّبَدْ ...
(ولمّا تَقَدّمَ الموجُ هادراً، زرعتُ أعوادَ القصبْ،
كي أخفّفَ من شراسة الملحِ،
تقدّمَ البحرُ ساخطاً، وحين
دنا من سياجي انحنى وتجمّدْ)

أيُها البحرُ ...
يا عكّازةَ السّماءْ
ويا فضاءَنا الأزرق
لم أجدْ باراً واحداً في المدينةِ
كي أُفرغَ وشايتي
كما يجبُ ...

تدحرجتُ إلى أوّلِ الرّيحِ
دخلتُ المدينةَ كاملاً
منتفخاً بديمومتي
علّني أشتعلُ بمعجمٍ قتيلٍ
على سياجِ اللّغةِ
تقدّمتُ ...

المساءُ فائضُ الوقتِ،

والقطيعُ ما زالَ منهمكاً
في حياكةِ الغيبِ
هيّجتني رغبةُ التميّزِ
لافرقَ بين سيّدٍ وبيني
مَنْ سيقطعُ رأسَ البحرِ
ويختفي كأرنبٍ هيّجتْهُ الملوحةُ؟

(وحينَ أشرقتْ شمسُنا على
كتابِ الرّملِ، تقزّمتْ ملوحةُ
البحرِ، فرّ المدى إلى عيونِ الّذينَ
يفتدونَ الشّتاءَ على الصّفحةِ
الأولى من تلال الغيمْ،
الأسماكُ علّقتْ خياشيمها
حتى يفيءَ الماءُ إلى رُشدِهِ)

أخطأتُ مرّتين:
مرّةً في الصّباحِ
وأخرى
حين تذوّقَ النّيلُ طعمَهُ
الخوفُ
مسرحُ
الخطيئةِ.
الجدارُ يصرخُ في الوعاء المعدنيّ:
شعارٌ هاربٌ إلى حظيرةِ التراكمِ
عرّيتُ شِعْري
ألبستُ عينيّ جبالاً مليئةً
بالكهوفِ
وأنفقتُ خمسينَ فكرةً مُحَمّلَةً
برائحةِ التوقّعِ

كلّ الّذينَ تدفّقوا بين أصابعي
تنكّروا للبحرِ
أو صدوا باب نعمتي الأزرق
أنبأتُهمْ:
إخلعوا مفاتيحكُمْ
من عراءِ المدى
واسقطوا كالسلام

١٠كانون ثاني ١٩٩٣.

في النساء

سئل أعرابي عن النساء وكان ذا تجربة وعلم بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن اذا قامت، وأعظمهن اذا قعدت، واصدقهن اذا قالت، التي اذا غضبت حلمت، واذا ضحكت تبسمت، واذا صنعت شيئاً جودت، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود، وكل أمرها محمود.

نص

خمس أغنيات للخريف السادس

الاغنية الا ولى : لا لحن أو مغنين

خالد جمعة

أنشدنا الكارثة
قبلَ أن نقول صمتنا ساعةً في رصيفِ الذين غادروا
ولبسنا خاطرةً حالمةْ
يهطلُ
من
جيوبنا
الجنودُ
مرصّعين بفكرةٍ فارسيةٍ
زوّقها الخليفةُ دون أن يعلم
أن الوقتَ صار يهرُّ من جيبِ كسرى

الاغنية الثانية : لمن لم يشأ سماعها

في وجه الشامِ
كان وجهيَ أسلوبَ حربٍ
فرصةٌ لمسالمةِ الرّومِ
كي نستعيدَ معاً
حدوداً بللّها التاريخُ
فيما يخرجُ القلقُ من أنف الصباحِ
تصطفُّ العساكرُ حولَ الخرائبِ
معلنينَ من جديدٍ صورةَ اللّهِ التي ليست كما نعرفُ

والله يشوفُ نصفَنا المخدوعُ
ويسكتُ بجلالةٍ لا نحبّها

الأغنية الثالثة :

كما قالَ عليٌّ لمن سيجيئونَ بعدهُ
وهو بعدُ لم يدركْ خديعةَ الأشعريّ
انسحِبوا من خاصرتيَّ
حَماماً
حَماماً
نبِّشوا في راحتيَّ عن سيفٍ تألَّقَ
فأرَّقتْهُ الخوابي
والفتوحاتْ
كُفُّوا عن نبوَّتي
تهبْكم الجواري ما خلّفهُ الخلفاءُ
انسحِبوا
من بيتِ المالِ الذي من قراطيسَ وعسسْ
وانسحبوا
من خباءِ عائشة °

الأغنية الرابعة :

ثلاث بكائيات لمريم المجدلية
تحت أقدام الصليب

البكائية الأولى: في الطريق الى الصليب

أهدلُ
مثل قنطارٍ من النبوّةِ الجريحةِ
على مضائق البحار
أخفقُ توبةً من بعيد
رُدَّني لإنجيلِ البدايةِ عصفورةً
تحملُ بكارةَ الشتاءِ
وعنفوانَ المجدلِ الذي في السماء
والذي في القلبْ

البكائية الثانية : تحت أقدام الصليب

عمَّ أتوبُ
والجدار ما بيننا طافحٌ بالعصافيرِ
كالحٌ كالنوم مرَّةً أخرى لأجل المالِ
عمَّ أتوبْ
وخضوعي أغنيةٌ شقَّتْ ما بينَ جلديْ وجلدي
صوت ملوحةٍ
ما أبطأ هذي التوبة
ما أسرع ما تشكل جسمكَ
على الصليبْ

البكائية الثالثة:تحت أقدام الصليب أيضا

سيدي !!
ألن تقومَ
كي تصدّقَ توبتي ؟؟

الأغنية الخامسة :

«لمن سيكتبها »

وفاة الفنان يوسف حنا

فقد الوسط الفني السوري والعربي قبل أيام، الممثل يوسف حنا الذي رحل عن عمر يناهز الثالثة والخمسين، بعد أيام قليلة من خضوعه لعملية القلب المفتوح في دمشق.

يوسف حنا في مسلسل «الدغري».

يوسف حنا من مواليد عكا في فلسطين، وهو من أبرز فناني "المسرح القومي" في سورية. بدأ نشاطه المسرحي عام ١٩٦٠ من خلال "ندوة الفكر والفن" و"فرقة الفنون الدرامية"، كما برز منذ بداياته من خلال تجربته في الكتابة الادبية والمسرحية. فقد كتب الراحل مسرحياته الاولى مثل "جان دارك" ثم مسرحية "أبي مسلم الخرساني" التي وضعها متأثراً بالسينما السوفياتية، وتحديداً بفيلم أيزنشتاين المعروف "ايفان الرهيب".

وانتهى المطاف بيوسف حنا في "المسرح القومي" السوري، حيث شارك ممثلاً في أغلب وأبرز أعماله. بين هذه الأعمال نشير الى "انتيغونا"، "ماكبث"، "زيارة السيدة العجوز"، "حكاية حب"، "الحضيض"، "مغمرة رأس الملوك جابر"، "رحلة مغامرة حنظلة"، "الملك هو الملك"، "القضية"، "حرام سعادة الوزير"، "رقصة التانغو"...

لكن يوسف حنا ارتاد الشاشة الكبيرة، في نهاية الأمر، أكثر من ارتياده الخشبة، رغم تعامله مع المسرح كـ"أهم الفنون الدرامية على الاطلاق". وما زال الجمهور العربي يذكر حضوره اللافت في أفلام مثل "بعيداً عن الوطن"، "رجال تحت الشمس"، "وجه آخر للحب"، "المخدوعون"، "حبيبتي يا حب التوت"، "العار" ... وأغلبها من انتاج "المؤسسة العامة للسنما" في سورية. وعرف الجمهور العريض حنا من خلال التلفزيون، حيث شارك في مسلسلات كثيرة كـ"حكاية حارة القصر" و"توسكا" و"بصمات على جدار الزمن" و"أبو كامل" و"الدغري"...

آخر اطلالة فنية ليوسف حنا كانت قبل أيام، خلال انعقاد الدورة الثامنة لـ"مهرجان دمشق السينمائي"، حيث عرض آخر عمل فني بمشاركته وهو فيلم "شيء ما يحترق" الذي أخرجه السينمائي السوري غسان شميط.

وقفة تأمل

- ثلاثة أشياء تخفض قيمة المرأة: اللسان الطويلة والثرثرة الفارغة والكبرياء الزائف.

بايرون

- يبحث الرجل عن المرأة عندما يريد ان يكون عظيماً، ويهرب منها بعد ان يصبح عظيماً.

- تظل المرأة قلقة على مستقبلها حتى تتزوج، بينما لا يقلق الرجل على مستقبله الا بعد ان يتزوج.

سقراط

نفد بجلده

تزوجت إحداهن رجلاً، ولما دخل منزلها رأى ثلاث قبعات معلقة، ولما سألها قالت:

هذه قبعة زوجي الذي مات غرقاً.

وهذه قبعة زوجي الذي مات حرقاً.

وهذه قبعة زوجي الذي مات قتلاً.

فنزع قبعته عن رأسه وقال لها: خذي هذه وقولي: هذه قبعة زوجي الذي نفد بجلده.

الحماة

تزوج رجل ثلاث اخوات كل زوجة بعد وفاة اختها. فلامه بعضهم فأجاب معتذراً بأنه إنما فعل ذلك لئلا يكون له اكثر من حماة واحدة.

وفاة الفنان صلاح ذو الفقار عن ٦٧ عاما

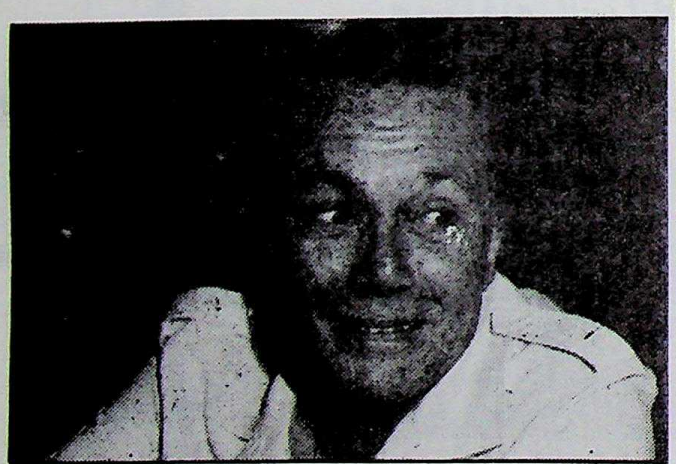

توفي في القاهرة أواخر الشهر الماضي الفنان المصري القدير صلاح ذو الفقار عن عمر يناهز الـ (٦٧) عاماً. نتيجية لازمة قلبية حادة مفاجئة في اثناء مشاركة الفنان في تصوير احد الاعمال الفنية.

وقد اثرى الفنان الراحل السينما العربية والمصرية بالعديد من الافلام. كما قام ببطولة العديد من المسلسلات التلفزيونية وذلك على مدى اكثر من ثلاثة عقود هي عمره الفني.

وصلاح ذو الفقار من مواليد المحلة الكبرى في مصر (في كانون الثاني ١٩٢٦) وهو خريج كلية الشرطة دفعة ١٩٤٦.

من اشهر الافلام التي قام الراحل ببطولتها «رد قلبي» و «الرجل الثاني» و «اغلى من حياتي». كما قام ببطولة بعض المسريحات ومن اشهرها مسرحية «روبابيكا».

20 -05- 1994

PETRA RENT A CAR LTD

البتـــراء

الشركة العربية الاولى والرائدة لتأجير السيارات

- سيارات جديدة ومريحة تعطيك الامان في كل مكان .
- نحن نوصل الى جميع المناطق + المطار .
- خدمة ٢٤ ساعة في جميع المناطق .

اسعار خاصة للجمعيات والمؤسسات ووسائل الاعلام والى مستاجري السيارات بشكل دوري .

يوجد تلفون داخل وخارج السيارة

اسعارنا وفرصتنا هي الافضل

جميع أذواق السيارات تجدها فقط لدى البتراء

البتراء القدس ـ شعفاط ـ تلفون: 820716 - 823735

للاتصال من خارج البلاد 822668 - 02 - 972

20 -05- 1994

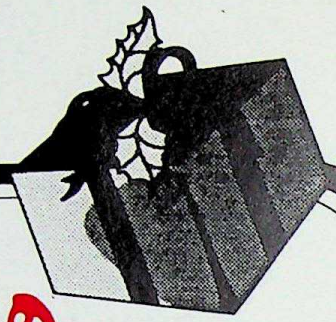

هدية مجانا

لكل تأمين من نوع فريق ثالث

تحصل عليها فوراً

من

شركة المؤسسة العربية للتأمين
المساهمة المحدودة

وجدت لخدمتكم

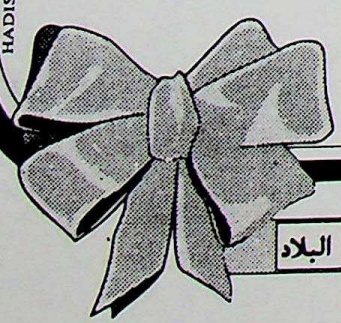

العرض قائم في مكاتب الشركة ووكلائها المعتمدين في جميع انحاء البلاد

HADISOFT 09-371372

من سلڤانا

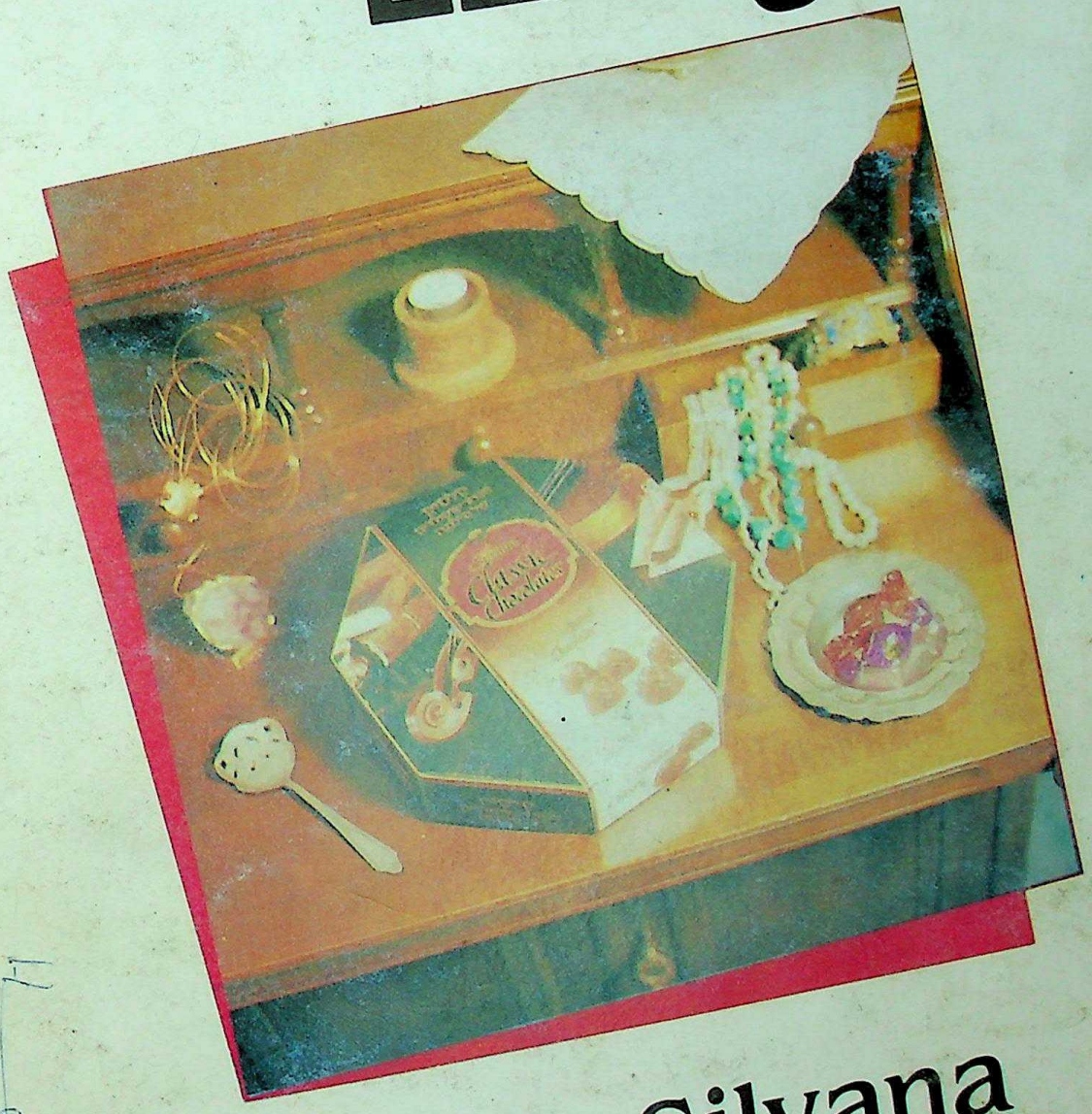

From Silvana

شركة معامل سلڤانا للشوكولاتة والحلويات المحدودة
رام الله - المنطقة الصناعية - ص.ب ٢٤٩ ت ٩٥٦٤٥٨